

والشوقُ أغلبُ

(ذاكرة دعوية)

أُغالبُ فيكَ الشَوقَ وَالشَوقُ أَغلَبُ
وَأَعجَبُ مِن ذا الهَجرِ وَالوَصلُ أَعجَبُ





بسم اللّٰه الرحمن الرحيم



(بعضُ الكتبِ لا يكتبها القلمُ السائل ، ولكن يكتبها قلمُ الروح).

(الذكرياتُ هي صورة غراء يلتقطها القلب ، مما يخلق لحظةً خاصةً أبدية).

(الذكرى شكلٌ من أشكال الخلود).

(تذكرُ أيامك الجميلة لا يُسعدك فحسب ، بل يمنحك طاقةً لمقاومةِ الكآبةِ الجديدة).

(في الذكريات سحرٌ وجمال ، وعطرٌ وأسرار ، وتاريخٌ ومواقف).



الفهرس





توطئة

حمدًا لله على توفيقه، وشكرًا له تيسيره وتسديده ، وأصلي وأسلمُ على خيرِ خلقه وأوليائه ، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين...

أما بعد:

فهنا أشواقٌ مكبوتة، وترانيمُ كانت محبوسة ، حانت لحظةُ قطافِها، وتوزيعِها على الأحبة والأصدقاء ، فلم يزل هاجسُ القلم يُذكي نشرَها، وإبرازَها للناس ، فطاوعته النفسُ على خجلٍ واستحياء ، ولما رأينا فضلاء سطّروا شيئًا من ذلك، وقيدوا تجاربَ وممارسات ناسبَ محاكاتهم هنا، وتسطيرُ بعض الذكريات الدعوية ، وكان العبدُ الفقير قد نشرَ مؤخرا (من



الذاكرة الدعوية) كمجموعة أولى . ولما خشيَ ذهابَ الذاكرة بها ، سارع في تسطير المصنف الثاني تحت عنوان (والشوقُ أغلب) إذ فيه ما يستدعي كتابتها على عجل قبل الشرود والنفاد ، ولذلك تُعدُّ مثل هذه المصنفات في سياق السيرة الذاتية ، ولكنها تأخذُ شكلَ النمط الدعوي ، فهي عن أخبار الدعوة ودروسها ومُلحها وطرائفها ، مما وقع للعبد الفقير، وناسب تقييدُه هنا. وهي تُقصُّ للعظة والاعتبار ، وليس الكبر والفخار ، وفيها أشياء من نعمةِ اللهِ ، لا يمكن حبسُها الآماد الطويلة (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) سورة الضحى: ١١ . وقال تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن



يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة الأنفال: ٢٦ .

وكان شوقُ كتابتها يغالبُ على حكايتها ونشرها من كتمِها أو ذرها في مهبّ الريح ، كما قال أبو الطيب : أُغالِبُ فيكَ الشّوْقَ وَالشوْقُ أغلَبُ... وَأعجبُ من ذا الهجرِ وَالوَصْلُ أعجبُ..!

ومع أنها كتابةٌ عاطفية، والقلم هنا شاعري ، إلا أنها حرَصَ على تسجيل الحقيقة ، وترك المبالغات، وإرسال نوافذ حكمية في قضايا الدعوة وتربوياتها، اكتُشفت بالممارسة والتطبيق، ولولا التجاربُ لما كان للقلمِ قيمةٌ، ولا للعقل اجتهاد وتوقيع..!

وهي هنا ما أشبهُ ما تكونُ بالتواقيع الدعوية ، والمنتقيات التربوية والتاريخية ، التي عاشها المرءُ ، وخاضَ غمارَها ، فإن أصاب



فمِن الله، وإن أخطأ فمِن نفسِه والشيطان...! وتخللتها ذِكَر وعبر، وأحكامٌ وغُرَر، انبثقت من وحي الموقف، فساقها القلمُ بعد سنواتٍ بطريقته، وحسب استذكاره ونباهته .

ولو امتلكنا الوعي مبكرًا لسُجلت في حينها كما قال أبو الحسن الندوي رحمه اللهُ وغيره، لا سيما وأن وصف اللحظة في حينها أصدق وأعمق في تصوير المشاعر المصاحبة والعالقة حينها .

وقد عانى بعضُهم من تقييد ذلك، وتردد ، أو تضاءل حجم ما لديه، كالأديب الطنطاوي رحمه اللهُ، فقد اقتنع بها سنة ١٩٨١م ، عندما جاءه زهير الأيوبي وألح في إقناعه، فقال .." «ثم أحالتني الأيام على التقاعد، فودعتُ قلمي كما يودَّع المحتضر، وغسلته من آثار المداد كما يُغسل من مات، ثم لففته بمثل الكفن



وجعلت له من أعماق الخزانة قبراً كالذي يُدفن فيه الأموات.

حتى جاءني من سنة واحدة أخٌ عزيز، هو في السن صغير مثل ولدي، ولكنه في الفضل كبير، فما زال بي يفتلني في الذروة والغارب (كما كان يقول الأولون)، يحاصرني باللفظ الحلو، والحجة المقنعة، والإلحاح المقبول؛ يريدني على أن أعود إلى الميت فأنفض عنه التراب وأمزق من حوله الكفن، وأنا أحاول أن أتخلص وأن أتملص، حتى عجزت فوافقت على أن أكتب عنده ذكرياتي. فيا زهير: أشكرك؛ فلولاك ما كتبت ".

ومع معاناته، فقد استمتعَ بعد ذلك، لا سيما وهي تُنشر في حلقات صحفية ، ويلفها تأملٌ وتدقيق واستذكار، خلافًا لمن



يكتــب في جلســة واحــدة، ومكثفــة الوقــت، ودونَ تراتيــب وتقديمات، كالمرقوم هنا.....!!

ولكننا نحاول الارتحال عبر التاريخ الماضي، من خلال اشتياق داخلي ومستذكرات لطائف ، كما يقول بعضهم : " بمقدورك بالفعل السفر عبر الزمن حتى تصل لتجربة محددة في حياتك، وربط ذكرى معينة بإشارة ما غالبًا ما يؤدي إلى الوصول لذكرى أخرى " .

وبعض الإشارات والايماءات والجماليات الماضية، ترتبط بمواقف ومثيلات معاصرة، فتذكرك ببعض الوقائع الرائعة ، وتعمل على سبكها بالقلم الشائق ، لا سيما وأن عطاء الذاكرة مع الخمسين يبدأ يتراجع ، وقد بدأت بوادره من الثلاثين كما قال



بعضُـــهم، والفصـــوص الجبهيـــة في الـــدماغ لا تعمـــل بالكفـــاءة المعتادة..!

ولـذلك تـأتي هـذه الكتابـات متـأخرة نوعًـا مـا، ولكنهـا تسـتعجل السـاعات ، وتسـابق الـزمن ممـا علـق بـه مـن رائحـة الماضـي ودروســه الجميلــة ، واكتــب في شــكلٍ عفــوي ، دون كراســة مخصوصة، أو زاوية مضيئة محددة ...!

فهو لا يفقه مثل ذلك في هذه السن.. ولكنه امتطى اليراعةَ سريعا، وبدأت تتدفق بما بقي من سوانح الذكريات، وقطوف المواقف، وعبق المحاضرات .. فهو لم يتخذ لها شكلا اجتماعيًا أو نفسيًا محددًا ، بل حاول استدعاءها عـاجلا حتى يستفيدَ مـن صـلابتِها



الباقية ، فالعمرُ يتناقصُ، والسنواتُ تتسابق، والأفكار تتزاحم، ويغلبُ موقفٌ مواقف، وتُدمي حادثةٌ أحداثًا ، والله المستعان .

اللهم انفعنا ببركة القلم الدعوي، واجعل حروفَنا حجةً لنا لا علينا يا كريم، إنك على كل شيءٍ قدير، والسلام ..!

محايل عسير

٨/ ٣/ ١٤٤٣هـ



١/ سقوطُ الشماغ

طـارَ الشــماغُ فلــم أرَ طيرانَــه ** وتطـايرت ضـحْكاتُ مَـن في المسـجدِ

فرجعتُ للذكرى فقلتُ شماغنا ** لــم يتــقِ في مــوقفي المستأســدِ

______**______

- في فترةٍ من لحظات الازدهار الـدعوي ، والأخُ يتحـرك في سرورٍ وانشراح ، والخيرات دارةٌ، والمحاسـنُ رافلـة في كـل مكان... ويُرتبُ له محاضرة في قرية مجاورة ، عُرفت بمحبة العلم والدروس وتستضيف من حينٍ لآخر....!

- فجـاء أخونـا.. وشـرعَ في الحـديث وكأنهـا كانـت في السـير والتراجم، وهو مسترسـلٌ منطلـق، لا يلـوي علـى أحـد ، ولا يتلعـثم أو يتـردد فـإذا بـه يلحـظ مـن يبتسـم في الخلـف ... فتعجب.... فتكررت الابتسامة... فشك أن الضحك متجهٌ



للمحاضر .. فتلفت فلم ير شيئًا... فوضع يده على رأسه ، فإذا "الشماغ أو الغترة " بلهجتنا قد ذهبت وطارت، وصارت غلافا على رقبة المشلح...!

- تعجب واندهشن كيف لها السقوط، أو الطيران من الرأس... وقد حُرست بالقيد المشلحي، أو وضعة العنق المانعة للهواء كما هي ربطة المشيخة والمطاوعة ..،!
- ولكنه وقع الذي وقع، فردها بيده وأصلحها سريعا ، وهو يستكمل المحاضرة ...
- نعم كان شيئًا مذهلا... ولكنْ توقع في المحاضرات وفي مقابلة الناس وعرض العقول ما هو أشد وأنكى...!



- وقـد قـال لـي شـيخ فاضـل مـرةً أن شخصـا أقامـه مـن المحاضرة.... فقلتُ : كيـف فقـال : أُعلـن لـي محاضـرةٌ في جامع ما.... وكأنها كانت في موضع درس أسبوعي لـه، ولا علم لي...! فجاء صاحبنا، وقـد بـدأت....! فصـرخ قـائلًا ، كيـف تقطعـون درسـنا الـدائم.....! ففهمـتُ أن لـه درسًـا معهـودا، فقمـت وقلـتُ: تفضـل يـا أخـي ...،! وقـام مـن الكرسي، وترك المجال للشيخ الدائم ، وجلس مستمعا ...!
- فقلتُ: الحمدُ لله، لم يحصل لي مثل ذلك ، ولـو حصـل ، صنعت صنيعك ، فهو صنيع الفضلاء المهـذَّبين ...! وذلـك من مكارم الأخلاق.



- ولذلك معاشرَ الدعاة: قد تواجهك مواقفُ محرجة أو صادمة ، أو مزعجة فتصبر واحتمل، وتلاين واستلطف، واعلم أنّ الأعمال بالنيات ، وأن الغيب بيد الله، والدنيا محفوفة بالعجائب والغرائب...! وليس ذلك سببا في العزوف الدعوي ، بل تسلح بالصبر والاحتساب، واعتبر ذلك من بُنيات الطريق...!

- وفي محاضرةٍ ليست بعيدة.. تكرر الموقف معي في جامع (مفرح بن عمار) وكانت محاضرةٌ جميلة، والأجواءُ ربيعية مورقة ، وارتدى غترةً بيضاء لا تعرف الثبات على الرأس ، ومن عادتها التحرك وعدم الاستقرار على القلنسوة ، فتزحلقت حتى كادت تغيب وتشوه الشكل،



فأشار لي بعضُ طلابنا الحضور ، ففهمت...! وكنت لما خرجت بها من المنزل أحسستُ أنها من الغتر المتحركة ، والمزعجة في اللباس ...! فلما نبهني وهو يضحك ، عرفت المقصدَ، فعدلت، وظللت أتعاهدها حتى انقضت المحاضرة والحمدُ لله .



٢/كلمةُ البسكويت:

وفي زحمة الأفكار للطفل فكرةٌ ** هي الجذبُ بالبسكوت والشكل والطعمِ

**

- مع نشاطِهِ المسجدي كانت تدعوه بعضُ المدارس والدوائر الحكومية في "كلمات موجزة" مع صلاة الظهر ، ويجيب دعوة الجميع .... وقدمنا مرةً: أن الشيخ عبدالله الشهراني رحمه الله قال له: لا ترد أية دعوة شبابية للزيارة...! ولما وعى دعويًا، أدرك حاجة الناس ومحبتهم للدعاة ، فصار يجيب كل الدعوات الموقرة من الجهات الحكومية ...!

- وذاتَ يوم ومع انتشار أنشطة "الأمن الفكري " ، اتصل به الصحفي الوقور محمد جابر عن مدرسة الملك



عبـدالعزيز الابتدائيـة بالضـرس ، ومعـه خطـاب مـن مـدير

المدرسة الخلوق الأسـتاذ عبـد الله القحطـاني حفظهـم الله ،

يدعون للمشـاركة في برنـامج الأمـن الفكـري ..اعتقـد سـنة

١٤٣٦هـ .

- وهو عبارةٌ عن سلسلة برامج متنوعة تقدمها وزارة التعليم مشـكورة، وكـذلك الشـؤون الإسـلامية لحفـظ أبنائنـا مـن لوثـات الأفكـار الضـالة ، وأفكـار الشـذوذ الإنسـاني، والحمـدلله شـاركنا فيهـا في الجامعـة والمسـاجد والجمعيـات...! فجـاء دور المـدارس ،فجـاءت الـدعوةُ فانطلقت كالعادة في تلبية دعوة الجميع..!



- وكانـت أولَ مـرة تكـون ملقيًـا في ابتدائيـة حيـث الـنشء الصغير الغالـب... فوضعنا في السـاحة مفروشـة وقـال أي المدير : لا تطل يا شيخ... قلت: أصلا مختصرة...!
- وألهمني الله حينها حملَ كتيبات صغيرة كهـدايا ، وزدتُ عليها بسكويت شكولاته للصغار....!
- وحينما قابلتهم الساحة مكتظة بالعـدد، والضـجيجُ عـالٍ، والصـخب يكـاد يمـلأ الأرجـاء ...! ومعلمـوهم فـوق روؤسهم يسكتونهم... فأخـذتُ قصـةً في السـيرة للأطفـال ونبهنا على نعمة الأمن والأمان في هذه الـبلاد المباركـة...! وكلما رفعت للسؤال وأشرت بالشوكلاته أصغوا ساكتين،



ومـرت بسـلام...! وسُـرت المدرسـة والـزملاء، بإنقـاذ الموقف بمثل هذا الأسلوب...!

- وبعدها بأيـام يـوقفني طفـلٌ صـغير في الحـي ويسـلم علـي ويقـول: أسـتاذ أنـت جيتنـا المدرسـة ، ..!!وسـلمت عليـه وشكرته وشجعته ...!
- وكانت لحظةً موقظةً لـي حيـث تعرفـتُ على عـالم مليـئ بالجماليات والرحمة هو عالم الطفولة، لأن غالـب زيارتنـا للشـباب الكبـار أو الجامعـات والمسـاجد...! ولا أحسـنُ مخاطبة الأطفال بالخطاب الدعوي...!
- ومع ذلك فقد وجه لإخوانـه التربـويين أن عـرض الأفـلام المصورة للمراحل الابتدائية بخطورة الأفكار أفضلُ بكثير



من دكتور أو شيخ يأتي لطرح محاضرة في خطـورة الأفكـار الضـالة، لأن الصـورةَ جذابـة ، والأفـلام مغريـة ، خلافًـا لمحاضـرة قـد تـورث النـوم والصـخب الطفـولي كمـا رأينا...

- بـل ممكـن تسـميتها كلمـة البسـكويت ، فعمادهـا عملية الجـذب الطعـامي، والإغـراء الـذي تحملـه الشـوكلاتة للأطفال ...والسلام .



٣/ أول مشاهدة لابن عثيمين رحمه اللّه:

وفي الجامعِ المرموق ما كان شيخُنا ** سوى عبقريٍ ينظمُ الفقهَ بالدرِّ

______**______

- في ردَهات الطفولة رنّت أسماء قوية في أذنيه، كانت الناس تُبجلُها كثيرا وتستدل بها في الخلاف الفقهي ومسائل الحلال والحرام .. كالشيخ ابنِ باز ، وابن عثيمين رحمهما الله ، فلما عرف أنهم من أعلام المملكة والعالم الإسلامي، تمنى رؤيتهم.... ولكن كيف المصيرُ إليهم ...؟! ولا يُذكرون إلا بالثناء واللطف، وكأن في جنباتهم الروائح الشذية، وعند شخصياتهم المعالم المورقة ...!

- وفي المرحلة المتوسطة وُزعت لابن عثيمين "فتوى تارك الصلاة" ، فارتعب منها الفؤادُ ، والحمد لله كانت الصلاة



من نفسهِ عظيمة ، لكنّ الفتاوى زادته خوفًا ووجلاً...!

وكانت النفسُ تتوق أن تقابلَ أعلامًا كابن باز وابن عثيمين وأشباههم من الفضلاء .

- فيسَّر اللهُ وكانوا في المركز الصيفي سنة ١٤٠٨هـ، فزار الشيخ العلامةُ المنطقة وفي أبها أُعلنت له محاضرة، وكانت تقريبا في ذي الحجة، فقرر الشيخ أن تكون في "أحكام الحج"، فوصلنا من محايل بعد صلاة المغرب، وقد استُهلت المحاضرة ، والشيخ يسألُ والطلاب يجيب، وكما نعرف المحاضرات أنها إلقاء من طرف واحد....! ولكنه هنا ملقٍ وسائلٌ ومحاسب...!!



- فدخل الجامع وهو جامع الملك فيصل بالخالدية، وهو كبير في حينها، والشيخ يراجع ويصحح للطلاب، فدب الخوفُ فيهم، فرأينا التباعد عن الشيخ، ورأيت رجلًا حنطي الشكل بغترة بيضاء ليس عليه شكلُ الأُبهة والتجمل سوى القوة العلمية والحدة مع طلاب الشريعة الذين يغلطون...!

- فجلسنا في الطرف لئلا نحرج ، وكان الشيخُ رحمه اللهُ، يقيم القريبين منه، ويحرجهم أمام جمهرة الناس، وكأنه يقول : القريبُ لابد أن يكون منتبها لا غافلًا...!

- والذي شدّني كثرةُ الحضور رغم سعة الجامع ، وحضور شخصيات كبيرة، كسمو أمير المنطقة خالد الفيصل كان



حاضرا ، فالضيفُ كان رجل دولـة مهمـا ، وعضـوًا في هيئة

كبار العلماء .

- وكـان الشـيخُ يفصـل أحكـامَ الحـج ولا ورقـة أمامـه، ويصوب ويرجح بطريقة فائقة... فتفكر كيـف يصـل طالـب العلم لهذه المرتبة.. ومن أين لك كل هذا النبوغ العلمي.

- وحينما حضرت اللحظة الفارقة في حياة ذلـك الشـخص ، وعظم شـأنُ العلـم في ذاتـه ، وأقبـل عليـه بأصـغريه، كـان ابـن عثيمين من "مراجعه الأساسية" في التعلم والتفقه ويـذكر أنـه ملك له أكثر من " ١٠٠٠ شريط" ، واقتنى غالب كتبه رحمه الله، ومن آخرها شرح بلوغ المرام...!



- فانتفع بكلامه انتفاعًا كبيرًا ، ولما توفي الشيخ سنة ١٤٢١هـ، تألم وأحس أنه افتقد علم الشيخ، وأنه مات في داخله علمٌ نادر، وشوارد لا نظير لها، ولا تكاد تجدها في الكتب، لأنَّ العلامةَ رحمه اللهُ لم يكن حافظا للكتب فقيهًا، بل عبقريا في شكل فقيه ، وامتاز بسمات ليس في سواه فرحمه اللهَ رحمةً واسعة ...!

- ومن الوفاء للشيخ شرح كتابه المنهج في العمرة والحج في جامع العنود قبل سنوات، ونظمه بعد ذلك تحت مسمى "الورد الأبهج " وهي مطبوعة الكترونيا ، ويوجد كتاب مخطوط " سماتُ ابن عثيمين العلمية " يسّر الله طباعته .



- وحضر لـه دروسـه في الحـرم مـدةَ أربـع سـنوات في الصـيف وفي رمضــان ، والتزمهــا التزامًــا شــديدًا ، ويلخــص كلامــه ويرتبه ، وبعد التـراويح كـان مـن منهج الشـيخ أخـذ آيـة مـن التلاوة، والاستنباط منها، فتعلمَ طريقته، وكانت مفتاح كتابه (نسمات من أم القرى) ثـم اسـتعادها في جامع العنـود بعـد التــــراويح، ينتــــزعُ آيـــةً ويعلـــق عليهـــا اســـتنباطا وتذكاراً.... والحمد لله على أفضاله.



٤/ قرى تدفعُ المللَ:

وربَّ حديثٍ قادنا نحوَ سلوةٍ ** وآخرَ لم نعقلْ ولَم نتسددِ

قضَينا بـه مُـراً وثِقـلًا وغُمـةً ** فللهِ من علمٍ يُقـدِّمُ بالكـدِّ

______**______

- ربَّ زيـارةٍ تـورقُ السـرور، وتـورثُ حبًـا وجـداً ونشـاطًا ، وربَّ زيـارةٍ تنتهـي بـك إلـى الملـل والكسـل...! والأرواحُ جنود مجندة كما صح بذلك الحديث الشريف .

- وقد شرُف بزيارة جوامع نحو : "خميس مطير في نـافع المـدني" عنـد الشـيخ يحـي عجـيم ورفقتـه، وحفـاوة شيوخها وحسن ترتيبهم ، وكذلك جامع قنا الكبير، لـدى الشـيخ علـي المطـري والأديـب عبـد الـرحمنِ الثوبـاني



وصحابهم الأجلاء حفظهم الله جميعا ، تلاقي منهم كلَّ ترتيب واستعداد ، فيملؤون فمك سعدا وانشراحا قبل البدء والانطلاق .

- وفي جامع نافع المدني تلقى الترتيب، والهيئة الجمالية قبل الوصول، وغالبا يدخرونك لتكريم الحفظة ، وليلة الجوائز والهدايا..!

- ثم يُعقبونها بالمسامرة في بيتٍ بعض الفضلاء وغالبا عند الأستاذ أَبَي اسامة ، ذلك الفذُّ المحب للدعوة وأهلها ، فيجمعونَ بين العلم والأدب، والوعظ والشعر...! ولو سئلتُ ما أطيبُ المجالس عندك..؟! لقلت: ليلةٌ تصبغُ



بالعلم والأدب...! ولكأنهم يعرفون لذاذتي، ومنية روحي وسعادتي...!

- ويصدقُ فيهم قولُ القائل: وذكرني حلوَ الزمانِ وطيبهُ... مجالسُ قومٍ يملؤون المجالسا.. حديثًا وأشعاراً وفْقِهًا وحكمةً.. وبراً، ومَعْروفًا وإِلفًا مؤانسا..! وأيضا جامع الظهرة عند الشيخ خالد الحارثي، وقد تقدمت الإشارة اليه في (الذاكرة الدعوية) الجزء الأول، وأنه جامعٌ متّقد، عظيم الترتيب والاهتمام، يقدسُ العلم والدرس والموعد... بحيثُ تؤمهم وأنت منشرحُ الخاطر، عالي الهمة، متينُ التحضير ...!



- خلافًا لقرى أخرى وجوامع متعثرة ، تستدعيك من باب تكملة العدد، أو وعظ العامة، أو حتى يقال كان هنالك محاضرة ...! ولكن لا تجدُ ترتيبًا ، ولا استعدادا ولا حتى اهتمامًا ، ومع ذلك يقصدهم ويحتسبُ الخطوات الإيمانية.. والحمد لله ..!

- وأذكر في جامع من الجوامعِ قلت للإمام: عرّفْ بعنوان المحاضرة والضيف، حتى الناس تقعد وتعرف أيش الموضوع فقال : لا ما يحتاج ، إلا يبغي المحاضرة سيجلس...! فتعجبت في نفسي.. وقلتُ: سأتكلم محاضرةٍ يعني ساعة إلى العشاء ....



- **فعرفتُ لاحقا** .. أن الحي كظيظٌ بالمشكلات بين الإمام وجيرانه، وتقريبًا لم يحضر سوى أفراد معدودين، والعبد الفقير معه أفراد ، فتمموا بضعة عشرَ رجلا ...! واستكملت المحاضرة بعون الله .

- **والمقصدُ : أنّ الحزمَ الترتيبُ**، ولا تستجلبُ الناس وأنت لست مستعدا لذلك كله، ..! والله جميل يحب الجمال، ومن جمال أخلاقنا حُسنُ إدارة شؤوننا، ولَم أكنْ أغضب لأنَّ كل ذلك في منطقتنا..! لكنني كنت أخافُ على الضيوف البعداء ، ورداءة الترتيب من بعض الجهات ...! فلماذا كل تلك الضجة والدعايات الفارغة، والعالم أو المربي لا يلقى تلك الحفاوة التنظيمية قبل الوصول ...



- وفي محاضرة إيمانية رائقة في جامع المدني كان عنوانها.. (شبابٌ رفعهم الإيمان) كان يتحدث من قلبه، وليس من فمه، من فرط السعادة الروحية ، والثراء الجمالي الذي جاد المولى تعالى به، وحسن ترتيبهم كان محفزا عاليًا لذلك التتويج الإيماني ، ولله الحمد والمنة ...

- وفي محاضرة أخرى في " جامع ابن عثيمين بآل ناهية" عند الشيخ الفاضل علي آل ناهية، وكان عنوانها (الشباب والعبادات) تقريبًا ، وقد غُيّر العنوانُ المقترح سابقًا ، وكان الشيخُ كديدنه محبا للعلم وأهله ، ومحتفيـًا بحسن التنظيم والإعداد المسبق ، حتى إنه ليتابع الفسح الدعوي، ويمر المحافظ للدعم والتشجيع..!



- ولما قدمنا عليه – ومعي الرفقة من بني هلال وحسام من طلابنا، أهدانا فاهديناه ، وأكرمنا وأكرمناه ، حتى سادت أنسام من الود وحُسن الاهتمام، مما جوّدَ المحاضرة تلك الليلة ، وكانت ليلةً ليلاء ، وساعةً مثمرةً غراء .. والسلام .



٥/ مسجدٌ باسمه :

ومن هو حتى إذ يشادُ بجهدهِ ** وعثْراته غطَّت على البَر والبحرِ

وكم يُحسنونَ الظنَّ فينا وإننا ** ليَسترُنا اللهُ ذو الفضل والسترِ

______**______

- تقريبا في سنة ١٤٣٣هـ، وقد طابت الحياةُ، وازّينت مدارجُها ، والنسماتُ الدعوية مورقةٌ، قد أضاءت في كل مكان، حتى إنك لتشمُّ عَرفَها من مكانٍ سحيق ، وتستطعمُ خضراءها ولو أجدبَ المكانُ وضاقت الأحوال ...! فإذا بجوالي يتراقصُ من رنّات قادمات من شاب ، عرّفَ بنفسه مروعي سروي، عرفته لاحقا، بأنه غيور على الدعوة ويمارس التنسيق لها ولقريته (امناظر) . وإذا به يدعوه لافتتاح مسجد في هذه القرية...! فقال: حبًا وكرامة ..!



- فجاء الموعدُ وأظنه يوم ثلاثاء ، والمفاجأة أنّ المسجدَ تقريبا رُممَ، ووضعت عليه لوحة باسم العبد الفقير، ولَم أرها عند الدخول ، وفوجئت عند الوصول أنّ بعضَهم يخبرني بوضعها، ....! فاندهشت من فعلِ الأخ مروعي وحسن ظنه..! أحقاً ما يقال وما يشادُ... وهل وُلِد المعظَّمُ والعمادُ..

- فقال: ومَنْ نحن فقيل: تقديرًا لجهودك الدعوية ..! فقال: وأي جهود .. نحن قوم مساكين لولا سترُ الله لافتضحنا ..! وكيف يعمدُ بعضُكم بمثل ذلك... ولما تحدثت في المحاضرة، خُتمت بشكرهم وأمرت أن يغير اسم المسجد، باسم بعض أعلام الإسلام، واقترحتُ... (الزهري– ابن



المبارك) وقال: لا يوجد في المنطقة باسمهم شيء، وهم أخلق بذلك، وأما نحنُ ، فنستغفرُ اللهَ ونتوب إليه ...! لا تأتينَّ بذكرنا مع ذكرهم.... ليس الصحيحُ إذا مشى كالمقعدِ...!

- ولم أفهم إلى هذه اللحظة تصرف الشاب المقصود ، وهل هي مكرمة، أو سوء تقدير، ولكني تعجبتُ وأشفقت مما حصل، وبحمد الله لم أرَ اللوحة لا دخولًا ولا خروجًا! وانقضى المشهد بموافقة الجميع، لا سيما والموضوع ليس محل اتفاق، وما شوور باني المسجد ولا أهله ولا ذووه...! ولكنه موقف مستظرف مشفق، ناسب تسطيره في الذاكرة الدعوية ، وروايته للتأمل والاعتبار ..!



- وسمعت أيضا عن بعض القرى المجاورة ، وشاهدت اللوحة المعلقة في ذلك أيضًا .. شيدوا مسجدًا باسم علمٍ في المنطقة.. وكتبوا :" جامع الشيخ العلامة.." فبلغه ذلك فأمر بطرح اللوحة، رغم إنه من علماء المنطقة ومتفنن في الفقه والوعظ والمواريث والتفسير ودروسه متنوعة، ولكنه أعطاهم درسا في التواضع وهضم النفس، وكما قال صلّى اللهُ عليه وسلم :(أَهْلَكْتُمْ – أَوْ قَطَعْتُمْ – ظَهْرَ الرَّجُلِ) . وقد سمع رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ،.. كما في الصحيحين . وقال ابن مسعود :" من كان مستنا فليستنّ بمن مات ، فإنّ الحي لا تؤمن عليه الفتنة ".



- وإذا ودَّع وقفلَ من الحياة، ربما ناسب ذلك إذا اتفقت كلمة المجتمعين والمحبين ، وكان في ذلك مصلحة ، وإلا بقيت الجوامـع لروادهـا الحقيقيـين ، وأعلامهـا الصـالحين المصلحين ، والله الموفق .



٦/ الأكلُ قبل الكلمة، والصحون قبل الفهوم:

وجـاءَ لفكـرٍ واعتبـارٍ وحكمـةٍ ** فقابلـه الترحـابُ بـالطُّعمِ والصـحنِ

شبابٌ كـرامٌ زيـنَ العقـلُ نـورَهم * وأفهامُهم أربت على العُمـرِ والسـنِّ

_______**_______

- في محايل مدينتنا الدافئة .. وقت الشتاء ، وقد تنامى ربيعُها، وازدهرت أغصانُها ، ولانـت شمسُـها، واستحالت جمارها نورا عابقًا، وأُنسًا ماتعا.... وهنالك يقصدها السرويون من كـل مكـان، وتطيـبُ مجالسـها، ويجتمـع مـع الجـو النـاعم، الحنيذ الغانم، ومناديها الجذابة ، وكرمهم الفاخر....!

- وكانت الأجواءُ سببًا في الزحام الدعوي وكثرة الارتباطات الاجتماعية والثقافية ، ومع شغلها، لكنها تمثل إحياءً روحيا، وإثراءً داخليًا ، لا غنى للعاقل عنه..! فجـاءت دعـوةٌ كريمـة



من "طلاب جامعة الملك خالد"، وقد نزلوا تهامة يطلبون لقاء شبابيا، من خلال منسقهم الأخ الفاضل فيصل الشمراني، وغالبهم من كلية الهندسة .

- وفعلا جاءَ الموعد في استراحة وبعد الظهر مباشرة فدخل، فإذا الصحونُ تقدم، والموائدُ تبسط، غير ممنوعة، ولا محصورة... فقالوا : يا شيخ حضرَ طعامُنا ، فنبدأ ثم اللقاء، وحياكم الله ... فشاركناهم طعامهم المبارك، وقد شعّت وجوههم ، وزانت أخلاقهم ...
- ثم كانت الكلمة المختارة التربوية... ففوجئ برقي الحاضرين ، وأنهم نخبةٌ متفوقة ليست كالتي نعتادها دائما. وكيف لحظتم ذلك.



- من خلال أسئلة ذكية ، وتعقيبات عبقرية، وتساؤلات مرضية ..! وسرني ذلك، وجاءني شعور الافتخار بأن المستوى العقلي لدى شبابنا لا يعكسهُ الذين أصمونا في مواقع التواصل الاجتماعي تفاهة وانحطاطًا ، وسفاهة...! ولَم يتلعثمْ لأنه يحضّرُ دروسه بكل اهتمام ، ولا يأتي مهمِلًا أو مسلِّما عليهم فحسب، بل بعد لكل موقف عدته...

- وكان هذا اللقاء رائعًا بهيجًا ، عاد منه بالسعادة الغالية ، والسعد المرفرف في كل مناحيه، ومما زاده حسنًا وعطرا ، تجميله وتكميلهُ بهدايا ، من مؤلفاته غالبا يتحفُ بها من



يجيبُ آخرَ الدرس ، وسرور الطلاب بذلك.. بل وطلبهم توقيع الإهداء عليها.

- وكان يفعلُ ذلك بكلِّ بسط وانتشاء، ويعتبرُ الشباب من مشروعه الدعوي التربوي ، وأنهم بحاجةٍ ماسة إلى نصحٍ شفيق، وشيخ واعٍ، واحتضانٍ صادق ، وتوجيه سديد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :(يعجبُ ربُّكَ من شابٍ ليست له صبوة) أي خطيئة...! وفي ظل عصرنا المختلف ، لابد من صناعة وعي ودروع ، دون مفاتيح تلك الصبوة والعثرة ..

والله الموفق .



٧/ كلمةٌ محرجةٌ:

ونجحتُ في الإحراج حتى إنني ** لجمالِه الفوّاحِ في حُلوانِ

وسرَت بنا تلك العيونُ فحظُّنا ** حظُّ الربيع ومنظرُ القمرانِ

______**______

- تظلُّ طلعاتُ الشباب ومجالسهم كالروض البهيج ، والحديقة الوارفة ، ذات الغصون الزاكية ، والأفانين الجميلة... وتيسر شهودها مبكرًا ، وكان له موقف حاد منها، حيث برامجها المختلفة لمنهجه العلمي الصارم .... ولكن انتخبه الشيخ د . يوسف الغامدي حفظه اللهُ،مع مجموعة معيدين للمشاركة في دعم الأنشطة الطلابية، وكان حينها مديرَ الأنشطة الطلابية مع بداية تأسيس جامعة الملك خالد، خلفًا للشيخ عبدالله الشهراني رحمه اللهُ...!وذهبوا



عشيةً إلى المكان المكنون... وقبلَها قال له: نريد كلمةً توجيهيةً للشباب....! وتلك الفترة لم يكن اعتاد هذا المسلك..!

- واعتذر .. ولكن الشيخ يوسف .. يُصر إصرارًا محرجا ، وقد يورطك بين الجموع ولا يبالي، ويضعك في الخانة الضيقة ..! فرتب شيئا يسيرًا عن (حقيقة النجاح)... وهي كلمة محببة لطاقات الشباب ومشاعرهم .... وتقريبا كانت سنة ١٤٢١هـ..

- وكانت سنةً صاخبة بالأحداث ، ولما جاء الوعد عصرًا ، قدمه الشيخ.. فبدأ فتحدث عن النجاح وسحرِ الكلمة



وعناصرها وخطواتها ... وكيف تكونُ ناجحا....؟! ولماذا نتأخر نحن، وما مفهومها الحقيقي ..!

- وكان الطرحُ جديدا على الشباب، وقد اعتادوا على الكلمات الترقيقية، فأحبَّ التجديدَ والتنويع ..! فوقعت الكلام عليهم وقعًا حسنًا ، وتُلقيت بالقبول ... وتنفسَ الصعداء بانقضائها... وسُرَّ الزميلُ العزيز باختيارها، ووضعِها في موضعها المناسب ..

- واستفاد هو بعض معاني النجاح ، والتي من عواملها علو الهمة وسير الطامحين .. وكذلك أن بعضَ الإنجازات تحتاج إلى محرك خارجي من جهةٍ وثابة ، أو زميل ملحاح، أو موقف محرج.! لأن كثيرين من طلبة العلم لديهم المادة



ولكن يغيب المحفز الدافع لهم، أو المحرج القاطع ، فلا يتحركون ...!

- **ومثل تلكمُ الرحلات واللقاءات الشبابية،** والاندماج فيها نفعًا واستعدادًا وتخطيطًا، يصنع بعد فترة ، قدرةً عالية على التفاعل الإيجابي ، لا سيما لصاحبِ الهم والبحث والاطلاع ..! وأن يكون من أبجدياتها التربوية التربيةُ على العلمِ والقراءة والإبداع ، حتى يكون لهم مخرجات يانعة ، وغراس مباركة، تؤتي أُكلها بإذن ربها ..! والله الموفق .



٨/ محاضرةٌ ومعروف:

تُحاضرُ في قومٍ يُجلُّون برَّكم ** وما جهِلوا فضلًا هناك قديما

يُشيدونَ بالبِرِ النبيلِ وبعدها ** قد أكرموه وأطعموه نعيمًا

______**______

- حينما تجرّكَ محاضرةٌ وزيارة أخوية ، لإدراك شيمة من الشيمِ الزاهية ، أو التعلق بأسباب الفخار ، فإنك حينئذ في مرتقى من السرور ، وفي بستانٍ من السعادة والعز ...! وهو الذي حصل لصاحبكم في (قرية ذَراء) من بني هلال على الساحل..! وهنالك رتَّب الأستاذُ مسفر الهلالي، وأبناؤه البررة محاضرةً قبل موسم الحج تقريبا ، وأتذكر كان عنوانها (دروسُ حجة الوداع).



- وفيها استقبلنا كبارُهم وشيخهم الشيخ عبدالله الهلالي والشيخ مسفر ورهط كريم ، سُرُّوا بنا وصعِدوا بنا جبلًا للنزهة قبل المحاضرة ، ثم قال لي كبيرهم ....: نعرفُ أباكَ من عام ١٤٠١ هـ، حيث كانت أرضُنا عديمةَ المياه وجبليةً قاسية ، فتعاون مع بعض أهل الخير، وحفروا بئرًا لا يزال يعمل إلى الآن، وحلَّ لنا مشكلةَ المياه ..!

- تعجبَ واندهش من ذلك الوصال الجميل ، والشهامة الفاخرة ، والخلق النبيل، فوالده هنا له ذكرى حسنة، ومحمدةٌ مُحتفَى بها، ثم ولده يأتي بعد "قرابة ٣٧ سنة " ليلقي محاضرةً ، فيحدثه أصحابها بذلك المعروف البهيج...!



- وقد كان الوالدُ رحمه الله يحبُّ صنائع المعروف ، ويردد كثيرًا بيتَ الشاعر الحطيئة الذائع : من يفعلِ الخيرَ لا يُعدمْ جوازيه ...لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ..! ولم أخبر الوالد بها، حيث كان في آخرِ عمره ، والصحة متردية ، والنسيان اشتغل شغله الذاهب بكل الأفكار والذكريات ....! وددتُ أخبره ولكنْ سقمُه... متمددٌ لا يعرفُ الإمهالا....!

- وحينما كان يخطبُ في حي الضرس ويُلقي كلمات أحيانًا تعرف على الأستاذ ظافر العمري، وهو محبٌ فاضلٌ، يبجلُ الدعاة وطلبة العلم... وقال: يا فلان،... ما عرفتك إلا عام ١٤١٥هـ، أول سكناكم حي الضرس، ووالدكم فايع



الفتحي، أعرفه من عام ١٤٠٤هـ... والسببُ كنا في مستشفى محايل العام، فاستعسرت علينا معضلة ، فقالوا : عند فايع الفتحي.. حلها، فعرفناه وقضاها...! وكلٌّ يثني على فعاله وخدماته ...!

- وليس لك حينها إلا حمدُ الله على هذه النعمة، ومزيد الافتخار بمثل ذلك الشرف ، وهذه المفاخر والمكارم ، التي يُتنافسُ من أجلها ، ..! لا ثروات ذاهبة، أو أمجاد مزيفة.. وكما قال أمية بن أبي الصلت: هذي المَكارِمُ لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ... شِيبا بِماءٍ فَعادا بَعْدُ أبْوالَ.!
- وهي من الذكر الحسن ، والصيت الجميل ، والثواب الجزيل ، فجزاهم الله خيرا على إشادتهم ، وجزى اللهُ الوالد



الذي جعلنا نتفاخر عند طرح العلـم، أنّ ثمـة طرحـا أخلاقيـا قد سبقنا إلى ديار لم نكن نعرفها، فاجتمع لنا فضلانِ، فضـل صناعة العلم، وصناعة المعروف ، والحمد لله أولًا وآخراً.



٩/ الأيامُ العلمية والمباهج الروحية:

ويومٍ كجنَّات الحِسان تخالُنا ** دراً يلوحُ وضاءةً ولُموعا

صُبَّ الجمالُ بكُتْبِنا وبيومِنا ** حتى بدونا أنجمًا وشموعا

______**______

- كانت أيامًا حسانًا، ولحظاتٍ سارة ، تدرُّ محاسنها ، وتتساقطُ قطراتُ الطيب منها، فتظل شاخصًا في منظرها الخلاب، وصفوها العذب ، وغصنِها الندي..! وهي فكرةٌ ذكية ابتكرها بعضُ المشايخ الفضلاء ، وتبنتها الجهاتُ الدعوية مشكورة في بلادنا الحبيبة، أعزها الله ، وأدامَ خيرَها ونماءها .. تتعمدُ اختصار العلم ، وتضييق المتن العلمي، والانتصار عليه في يوم أو يومين ، تبدأ من العصر ، وتنتهي العشاء ، وفي الصيف يكونُ العصر طويلًا ، فلا تبلغ العشاء



إلا وقد قطعتَ شوطًا طويلا ، وسِرت سيرًا منيفًا، والحمد على أنواله.

- وقد نُسِّقَ للعبد الفقير شيءٌ من ذلك ، فشرح "كتاب الصيام والحج في مجموعة من الكتب ، وميمية " الشيخ حافظ الحكمي رحمه اللهُ ... وكنا فيها مستمتعين ، ويحضرها طلابُنا المعروفون في العمدة، ويقرأُ عبد الرحمنِ الهلالي ، وتارة حسام ، وفواز ، نفع الله بهم... !
- ورفيقُ دربنا فيها الأستاذ أحمد زيلعي ، محمود الخصال والجد، ومن ينشِّط هممنا للشرح والحضور ، وربما أضافَ أيامًا من عنده، ويذكر شرحَ مرة كتابَ "منسك الحجِّ" لابن باز، وسنةً أخرى "المنهج " لابن عثيمين رحمهما اللهُ...!



ومرةً ثالثة "منظومة السبل السوية " للشيخ حافظ الحكمي رحمه اللهُ، حتى بلغ بهم الأضحية وأحكام الهدي، ولما قاربَ الانتهاء، يقومُ الزيلعي ويقول : ما رأيكم تكمل غدًا.. والناس تستفيد ..! فيقول : لا بأس..!

- وفعلا تُحيا الليالي علمًا وفقهًا في جامع "الأميرة العنود" ، وقد كان مكتظًا بالناس .. حيث السعة والإذاعة والصوت الحسن لإمامه، ثبتنا الله وإياه ... ! فتضربُ السعادةُ أركانَها في كل الأرجاء، ويتطاير عَرفُها الشذي في كل الآفاق، وتبتهجُ الأرواحُ تألقًا وانشراحا ...!

- ولدقةِ الأيام العلمية وأهميتها، ومناسبتها لهممِ هذه الأعصر المتأخرة، قيّد فيها كتيبًا مخطوطا، يوصي بها ويشيد



وينصح ، لأنّ ختم المتون في سنواتٍ عجاف، أرهق الطلاب، ولا يثبتُ فيه إلا القلائل ، وهم ندرةُ هذا الزمان ، ولذلك لو شابهها شيءٌ من الاستعجال الخاطف، إلا أنها خير من شروحاتٍ طويلة ، وسنواتٍ مستديمة ..! وعلى الطالب استكمالُ بقية المتن وتفكيكه من خلال الاطلاع الغائص ، والبحث المتصاعد منزليًا ، بحيث يسد الثغرات، ويوفي الخلل، والله الموفق .



١٠/ مفتي الحملة:

وفي رحلة الحج البهية أينعت ** شبابُهمُ والمُبْهجات كثارُ

يرومون تكديرَ التفقه إمرةً ** وما علموا أنَّ الفقيهَ مدارُ

______**______

- في رحلةٍ جامعية ، وسَفرة إيمانية ، قد استجمعت معالمَ الخير، وشدا البلبلُ فيها شدواً، سَحرَ به السامعين ، واختطف قلوبَ المتأملين... تقرر إدارة الأنشطة الطلابية بالجامعة "رحلة حج إلى مكة" .... وفي صحبة زملاء أعزاء هم : مديرها د. يوسف الغامدي ، ود . حسين الحازمي ، ود . حافظ الحكمي، ود . عمر المبطي ، ود. سعيد الشهراني ، و . د علي خضران ، وغيرهم من موظفي النشاط ، ومعهم نحو (١٧٠ شابًا) جامعيا...!



- واجتُمع قبلها ووزعت المهام ، ورشح العبد الفقير مفتيًا للحملة ، حُسنَ ظنٍّ من الشيخ يوسف ، تقريبًا سنةً ١٤٢١هـ وكانت مناسبة حيث التوجه الحديثي والفقهي الذي يقصده آنذاك ، وبالفعل انطلقت الاحتفالات في موعدها..!
- والتقوه في محايل وهو ينتظرهم في اليوم السابع من ذي الحجة تقريبًا كعادة الحملات ، وانطلقوا في سمرٍ بهيج ، وأحاديثَ ماتعة، استغرقت السفرَ وهمَّه وعذابَه، "فالسفرُ قطعة من العذاب" كما قال عليه الصلاة والسلام .
- وكان المال قليلا ، استغرق إجار الرحلة كلها في منى ، وكانوا في آخر منى وقرب جبل هنالك ، وبعداء جدًا عن مرمى الجمرات ..! وفي عرفات نزلنا في مخيمات الراجحي



وبواسطة بعض الأحبة عن طريق الشيخ يوسف وجهود بعض الفضلاء، ومضت بسلامٍ وأمان ...!

- وغالب الأنشطة تمت في منى، قُسِّموا إلى مجموعات ، ورأينا من إبداعات الشباب ومواهبهم ما تسرُّ به النفوس ، وتقر به العيون ، ووزع المشايخ كرواد في خيامهم، والدروسُ فعالة، والضيوف متوثبونَ، والعملية الدعوية على قدم وساق في الحج، وتنشط وزارة الحج في الإفتاء ونفع الناس، وكذلك الحملات لها تراتيبها الدعوية ، وبرامجها الممتعة .

- ومن طرائفها: أن المفتي أفتى بعض الشباب بتأجيل طواف الإفاضة مع الوداع بنية واحدة ، فاعترض الشيخ يوسف



فقال: ما ودنا نربيهم على الرخص والكسل، فقلتُ: أمطار وزحام شديد، وهي رخصة ، فرفض فقال: سأفتي ببطلان كلامك ، فرد هو : سأعزلك الآن، فقال: لا علاقة لك بالفقه ومقاصده...ههههه وانتهى الخاطر بمزاح وتودد...!

- وسلكَ "المنهجَ البازي " في الفتاوى ، وإذا اختلفوا تشاوروا في المسألة مجلس شورى الحملة ، وتناقش الجميع، واحترمت الآراء ، وكان ثمة مخالفين ومعارضين ، ولكن الحجة حاضرة ..

- ومن الجميل في رحَلات الحج أخذ عدة كتب للقراءة ، ومن أشهرها" المغني لابن قدامة المقدسي " رحمه الله .



شيخ الحنابلة في الفقه، والكتاب المتوج بالحُسن والدقة والإمتاع العلمي ، والثراء المعرفي .

- وكان يقرأ عدة كتب ويحررها ، ونظم جزءاً من منسك جابر في تلك الأيام، وكان الشيخ عبدالله الشهراني رحمه اللهُ ، يعاتبه في ترك الحج، ويقول : هو مكان خصيب للدعوة والقراءة ، واقتنعَ لاحقًا بذلك، ورأى من بركات الحج الشيء العجيب ، والمنظر الرطيب .. وما ذاكَ الا لعظمِ البركة في تلك الأيام المعلومات ..!

- ومن طرائفها أيضا: في ذهابهم لطواف الوداع في اليوم الثالث، وفيه أصرَّ الشيخ يوسف على البقاء وعدم التعجل، وكنا في الباص، فعملوا على إشغال السير بالفوائد



والقصص كالعادة في الرحلات الشبابية..! فلما جاء الدور إليه ، قال : أُسمعكم قصيدةً غزلية... فقالوا: حج يا حاج.... حج يا حاج .. وتضاحكوا وتعجبوا هههه...!

- فأنشدهم" قصيدة غرناطة" لنزار قباني :

في مدخل الحمراء كان لقاؤنا ** ما أطيبَ اللقيا بلا ميعادِ

عينانِ سوداوان في حجريهما ** تتوالدُ الأبعادُ من أبعادِ

- هل أنتِ إسبانيةٌ ؟ ساءلتها... قالت: وفي غرناطة ميلادي.. غرناطة؟ وصحت قرونٌ سبعةٌ...في تينك العينين.. بعد رقادِ..!

- إلى أن يقول : الزخرفاتُ.. أكاد أسمعُ نبضها .. والزركشات على السقوف تنادي.. قالت: هنا "الحمراء"



زهو جدودنا ... فاقرأ على جدرانها أمجـادي.. أمجادهـا؟

ومسحت جرحًا نـازفا...ومسحتُ جرحـًا ثانيـًا بفـؤادي.

يـا ليـتَ وارثتـي الجميلـةَ أدركـت...أن الـذين عنتـهم

أجـدادي.. عانقـت فيهـا عنـدما ودعتهـا... رجـلاً يسمـى

"طـارقَ بن زيـادِ"..! وانـدهشَ الجميع من روعـة التصـوير

الفني والإسقاط التاريخي ، وقال المقدمُ : نعـم كنّا هكـذا في

الفـردوس المفقـود الأنـدلس ، جـدد اللهُ أمجادنـا ، ومنحنـا

عزيمةً عليها ... والسلام .



١١/ محاضرةٌ بلا حضور:

ولمـا قصَـدنا القـومَ لا علـمَ عنـدهم ** ولا ركبَ يشدو ولا شيخُ يجملُ

تلفتَ لم يلق سوى الصمتِ موضعًا ** فولى وداعًا والأعاجيبُ تسألُ

_________________________**_______________________

- مسجدٌ صغير ، ليس واسعَ الحجم، يتلألأ حسنا ، ويغريك سكونًا ، وقد علاه الهدوء والجمال، دخله فإذا فيه مصلوه قلائل، والأنسامُ عابقة، فأنت في أبها البهاء، والطيب والغَناء...!

- من المفاجاءات الصادمة كما تقدم .. أنكَ قد تذهب إلى مسجد غير مرتب للموعد، فتفاجأ بعدم وجود المنسقين ورواد المحاضرة .. وقد وطَّن نفسَه العبدُ الفقير على ذلك كما كررنا ... قد لا تجد أحدًا.. فلا حضور، ولا كرسي ولا



مقدّم ... وأحيانًا الإعلانات لم توضع ... وأشباهها من صور التكدير..!

- ولكنّ الأمر هيّنٌ عند من وعى الدعوةَ وطريقها والعوارض فيها...!

- وفي ذلكَ مرة .. رُتبت محاضرةٌ في مسجد على طريق خروجك من أبها المدينة، وكلمني فيها بعضُ طلابنا الفضلاء، ولمستُ منه الجد والحرص ... فذهبت إلى أبها قبلها بيوم أظن ونمت هنالك... وقلت: ننزه الأولاد يوما ويتبردون قليلا ، ثم اتجه مساءً إلى المسجد المقصود ..

- وهي محاضرة وليست كلمة وقال المنسقُ : ستجد شيخهم هنالك في انتظارك... فوصلت.. وأذن بعض الإخوة



البنغالية أظن ... ولم أجد إلا أصحاب الطرقات لأنه مسجد عابر على الطريق ... فأقيمت الصلاةُ.. فلا إمام.. وصلّى بهم والمشلح قد تزين به، وعرفه بعض أهلِ محايل العابرون، وسلّموا عليه...!

- وانتظر ياتي أحدُ يقدم.. يرحب... يعرف.. فلم يقم أحد ، وتبين أن المسجدَ مسجدُ طريق، ولايوجد حي... والقرية الخلفية في المزارع ربما ليس عندهم خبر أو شُغلوا...
- وامتصّ الحادث طبيعي ، وسنّن المغرب ، وطوى البشت، ثم اتصل على بعض أشياخه.. وقال: تراني في أبها ، وودنا نسلم عليك... وذهب إليه في بيته، وسرَحا في حديث ثقافي أدبي ... وكأن شيئًا لم يكن، والحمدُ للهِ.....!



- طـوى المشـلحَ المزيـونَ واشـتدَّ سـائقًا...إلـى أسـتاذه المعــروف بــالفكرِ والشــعرِ..! فظــلا حــديثًا في الجمــال وزهرهِ...وأنشدا سحرًا من الشعر كالدرِّ...! والسلام .



١٢/ في الميمنة والميامين حاضرون:

______**______

- في زيارةٍ أزهرت بحلوِ الاجتماع ، وقد أطلت عليه أغصانُ الزهور ، وأطايبُ العطور ، وعند أناس يحبون الفضائل ، ويعشقون المعالي.. في "قرية الميمنة" في أقصى الشمال ، تابعة لمركز الريش . وزيارة اجتماعية دعوية، حيث اختتموا أنشطةَ ديوانيتهم التابعة للجنة التنمية الاجتماعية بمحايل ، وكلفوا بالزيارة وتكريم أبنائهم...! تولى كبرها والدعوة لها أخونا الفاضل الأستاذ أحمد إبراهيم الثوعي حفظه الله، والمشتعل همةً ونشاطًا .



- فحضر وصحبهُ الأستاذ الزيلعي كالعـادة .. واعتـذر الخلُّ الآخـر، غيـرَ مبـالٍ بالاجتمـاع العـاطر ، والمحفـلِ الأهلـي الباهر..
- وحينما وصلَ الموقع .. وُضعوا في ساحةٍ وسيعة، وقد تنظم القـوم ، واحتفـوا وصـفوا، مسـتعدين ومتـأهبين ، يقـدَمُهم شـيخُهم المفضـال ، وسـعِدنا لطيـب أخلاقهـم وشـهامتهم ، جـزاهم الله خيـرا ...! وافتُـتحَ الحفـلُ البهـيج قرآنـا وذكـرًا وحكاية ، واستمعنا لكلماتهم ، ثم وجهوا بكلمة ختامية.. للعبد الفقير..
- شـكرَ فيهـا الجهـودَ وحسـن الترتيـب ، وجهـود الـوزارة مشـكورة في البـرامج الاجتماعيـة والشـبابية ، في هـذا البلـد



المعطـاء ، أدامهـا اللهُ مـن نعمـة ومنَّـة، وحقهـا الشـكر والمحافظة ..

- ثم قُدّم العشـاء ، وكانـت الأجـواء رائعـةً، والتـآخي ظـاهرا ، والمـودةُ منتشـرة قـد عبّـأت المكـان ، وتعرفنـا علـى القريـة وأهلها ووجهائها..!
- واستفدنا من زيارتنا تلك، مدى محبة الناس لطلاب العلم، وأن لا تتقـالّ زيـارة الأقـوام ، ولا تـرد دعـواتهم مـا سـمحت الظروف، وأن حسنةً وحيدةً، تنتج حسـنات ، وربّ معـروفٍ يتيم ، يكونُ له ثماره اليانعة، وقد سألوا قبلها شيئا ليس كثيرًا ، ولكن عزمـاتهم المشـتعلة أنتجـت تلـك الجهـود المثمـرة ، واللمسات المباركة التي شـوهدت ، فلـم نسـمع أو حُـدثنا ،



لكـن رأينـا الخيـرات متفتحـة أمامنـا ، قـد شـعت ترانيمهـا ،

والحمد لله على توفيقه .



١٣/ أحبابُ الدعوة:

وللـدعوةِ الغـراءِ أهـلٌ وثلـةٌ ** وفيها رجالٌ أخلصوا وأنابوا

لها يبذلونَ الجُهدَ حسنًا ورونقًا ** وفيها أقاموا مجدَهم وأصابوا

__________**__________

- إذا انشرحت النفسُ بالعمل الدعوي، وهلّت عليها غيوثُه، وأورقت غصونُه ، فقد استكملت السعادة ، واستطعمت اللذاذة...! وباتَ يُرى ذلك في برامجِها ومسالكها، بحيث هو عنوانُها وسلوانها ..ومن هؤلاءِ أناسٌ تذهبُ إليهم وتزورهم، فتشعرُ بالتصاقهم الشديد بالدعوة، ومحبتهم للشيوخ ، وإجلالهم لطلاب العلم.. ومن هؤلاء الشيخ عبده عايض الأحمري أبو معاذ...!



- كم لديه عُقدت محاضرات ودورات ومناشـط، فجامعه في القصبة، طريق آل مشول (جامع علي بن أبي طالب) ، مرتعٌ خصيب لبرامجها ، وأذكر زيارات مختلفة حفَلَ بها جامعُه المشــرق بــالعلوم والمــواعظ .. وحــريص علــى الــدعوة والاحتفاء ، برغم كثرة كبار السن في الحـي ، إلا أنـه يثـريهم، ولا يملّون أو يضجرون.
- وأبناؤه في ركابه حبًا وعنايةً وتربية.. ويزيدُ على ذلك سـمرٌ أخـوي ، واجتمـاع إيمـاني مبـاركٌ ، بعـد المحاضـرة . وفي مسجده علمٌ وحفظ وحلقات ، وحسنُ تواصلٍ ولمسات ..
- ومن الذكريات الجميلة لديه : "شرحُ المنظومة البيقونية" بعد صلاة الفجر ، مع رهط من المشـايخ في علـوم أخـرى في



مصيف ١٤٢٤هـ، فيما أذكرُ...! ثم تواصلت العلاقة مع الشيخ عبر الزيارات الفصلية، وألقيت عدد من المحاضرات، ومن آخرها فيما أذكرُ (من أعلام العصر).

- وكان يصلنا أيضًا في الاستراحة وألقى دورة في الديوانية الاجتماعية في استراحة آصال، كانت عن الادخار المالي تقريبًا ، ولم يزلْ محبا للعلم وأهله ، ومشاركا في برامجه، ومشجعا لأهله ، وحضر في بعض دروس الزوم، أيام زمن الجائحة ..! والخلاصة أنه هو وأمثاله من الأئمة الجادين بذلًا وعملا ونشاطًا ، نحسبه كذلك والله حسيبه . ويعد جامعه من الجوامع النشطة في المنطقة، وفقهم الله وسددهم.



١٤/ بعد أكثر من ٢٢ سنة:

وعُدنا إليها بعد عشرينَ حجةً ** وكان لقاءً طيّبَ الطعمِ والعطرِ
أَنِسنا له الساعاتِ والتمّ شملُنا ** وطفنا على الأغصانِ والروض والنهرِ

______**______

- عودةٌ جميلة، وقفولٌ دافيء ، إلى حارتنا القديمة، التي ربينا فيها وترعرع فيها العلمُ والكتاب وطيبُ الأفكار .. وخرجنا منها بغيرِ قصد، حارة الربوع في حي الجامع ، وفي كنف بيتنا القديم ورعاية والدي رحمه اللهُ، وإمامة الشيخ علي أبو سراح حفظه الله.. !
- هنالك شبَّ عمرو عنْ الطوق ، وعاش أجملَ اللحظات الإيمانية والتربوية في حياته ، حيث كان يجلس أكثرَ الأوقات في جامع الملك عبد العزيز ، فيقرأ ويقرئ، ويراجع ويذاكر ،



وفيه اعتادَ الإمامة ، وحفظ جل القـرآن ، وانطلـق منـه "درس زاد المعـاد" المـبهج سـنة ١٤١٤هــ . ودرس السـيرة النبويـة للصغار، كما تقدم التنويه عليها..!

- هنالـك تعلـن لـه محاضـرة (مخـاطر المـال الحـرام) سـنة ١٤٣٨هــ، وفيهـا يخضـرُّ الحنـين، وتنهمـر الـذكريات ، ويسـترجع جماليـات نـادرة، كانـت قـد نسـيت منـذ زمـن... والتقى بأحبته القدامى، ورأى الجامع قد تتطور وعمل بعض الفضلاء على تحسينه وإصلاح متعثراته...!
- وشاهد بعض جيرانهم الأحيـاء، وحضـرها بعـض أسـاتذته الخيار كالأستاذ أحمد بن محمـد السـيد ، حفظـه الله ، الـذي ساد خلقا وأدبًا جمـًا، وكان درسه في الصف الأول الثـانوي ،



ثم من تواضعه كان يصلي عنده الجمعة غالبا ، وقدم لنا درسًا في التواضع ، وكان قد توَّجه بقصيدة حينما تقاعد سنة ١٤٣٣هـ، حينما تقاعد ، واختفت بين الأوراق والملفات المختلفة ، ولكنه يقول ها هنا:

أيا أحمدُ المفضالُ طيبُك لم يزَل ** يفوحُ ويغدو بين أهلٍ ومعشرِ
تباهت به الآفاقُ ذكراً وموئلًا ** وغنت عليه أجملَ اللفظ والذكرِ

- وكان للمحاضرة وقعٌ قلبي عجيب، وكما قال الشريف الرضي : وَلَم يَبقَ عِندي لِلهَوى غَيرَ أَنَّني... إِذا الرَكبُ مَرّوا بي عَلى الدارِ أَشهَقُ..! تحركت فيها الأطلال ، وبزَغت شموعٌ مخفية، وأعطار ندية، حتى إنه ليؤديها والسعد يرِفّه ، والسرور يتدلى بقطوفه اليانعة، والانشراح يغشاه من كل مكان، وقد فاحت خزاماه، وتضوعت زنابقه..! والحمدُ للهِ على نعمه ومننه...!



١٥/ أدبٌ مصبوغ بالعلم:

______**______

- ما أجملَ الأدبَ يُصبغُ بالعلم ، والشعرَ يخالطه الفقه، والأبياتِ تزينها مسائلُ وتعليقات ، فتولّي منها وقد تعلمتَ حكمة ، أو استفدت مسألةً، أو أحرزتَ معنى ثقافيًا رائعًا.. وقد حصل ذلك بحمد الله في (الصالون الأدبي) وما عرفَ لاحقا بالديوانية الشبابية والتي انضمت لأنشطة لجنة التنمية الاجتماعية .

- وفي الصالون الأدبي أشعارٌ مختارة، وموضوعاتٌ مثارة، وأفكارٌ مدرارة، يتصدره زمرةٌ من الشباب المحبين ، والطلاب المخلصين، الذين آمنوا بأهمية الأدب للنفوس ، وفضل الشعر في تزيين المنطق وتحسين الذات..!



- وقد انعقد ما يقارب (١٥٠) مجلسًا، ضربت في شتى صنوف المعرفة ..! سُجِّلت في مدونة خاصة لتكونَ ذكرى وشاهدا على مسرح ثقافي استطعمنا حلاوتَه يومًا من الأيام..!

- وقد افتُتح في شهوره الأولى بمختارات الشعر العربي ، وعيونِ القصائد قديمًا وحديثًا ، بما فيهم المخالفين، وكان رواده من طلابنا في عمدة الأحكام كالفتيان من بني هلال وحسام وعلي الشهري وفواز وراشد ، وبعض الفضلاء كأحمد الزيلعي، ومحمد الخامس، وراجي فقيه، ويتخولنا أيضًا الأخوان أحمد مانع وعمر محمد، وإن غابا لم ينقطع دعمهم وحرصهم .



- وكذلك ضيوف المحاضرات في محايل يمرون عليه إذا وافقت المحاضرة ليلةَ الصالون ..! ومن خلاله تعلمنا فنون الإلقاء ، ومنحنا الثقةَ للشباب ، وأُتيح لهم فضيلةُ إعداد الموضوعات والمشاركة بها..! فكنت تلقى فيها شعرًا وفقها، وحديثًا وفقهًا ، ولغةً وحكمًا ، وأدبًا وتاريخًا...

وهذا ما كان يُرتجى من الصوالين الثقافية ..! والسلام .



١٦/ محاضرة المواعين والآلات:

حضَرنا إليهم نبتغي الأجرَ والهدى ** فطالت هدايا عندهم وجوائزُ

تقولُ الآنَ ختمٌ ومنتهى ** وما زال فيها مجمعٌ ومراكزُ

**

- في محاضرة لطيفة وطريفة، زانت بجواهر السير، ومباهج التراجم ، ونزلَ فيها بديلًا عن بعض الأشياخ الفضلاء، وأظنهم أتاحوا فرصةَ تغيير الموضوع ، فاختار لهام عنوانًا جميلا ومحببًا...(ناجحونَ عبر التاريخ)، وكان قد ألقاه عدةَ مرات، وتعب في جمعه، ويصلحُ طباعته في كتيّب مُنيف، لو تيسر لها فاعلو الخير ، لعظمة السير التي احتواها، والتي تشعلُ الهمة، وتوقدُ العزيمة .!



- فبلغَ المكان .. وكان ربما لأول مرة يزور تلك القرية خارج محايل قليلًا ، وكانت الأجواء رائعةً ، ووجدهم مترقبين ومتوثبين، وقد تهيأوا بهدايا الأجهزة والمواعين والتقادير المختلفة ، فأعلنت بعد الصلاة ويعتقد أنها تكريم للحلقات وبعض الأنشطة في الجامع، وبُدِئ التسليم وطال ولم ينقض، وكان لديه موعد.

- فكان يسأل همسًا قارئ الأسماء هل هذه كلها توزع هذه الليلة ، فيقول : نعم.. لعلنا أخرناك...هههه.

- وأحسّ بالثقل وطول القيام، وفي كل مرة ينظر للغلّةِ المتبقية فيلقاها كثيرةً منيفة ، وكأنها لم تنقص ، والإخوة



يقـرؤون والأعـداد تتزايـد. ولـم يكـن ثمـة بـد مـن الصـبر والاصطبار ، ومشاركتهم فرحتهم تلك الليلة..!

- ولكن المستظرفَ هنا طوله جدًا ، وجاذبية الموعد بعد صلاة العشاء مباشرة ، حتى انتهت الأسماءُ بفضل الله، وبقيت أجهزةٌ وكرتونات تشاهد، أشبه ما يكون بالمخزن المرتب جهة الإمام والمحراب ههنا ، والله الموفق...!
- ومع الظرافة الموجودة ، إلا أن هذه الهدايا والحوافز يرى أثرها وحسن عاقبتها على الصغار وكبار السن، وتحدث عندهم انطباعًا جميلًا عن الدعوة وأهلها ، وفيها مساعدة لبعض الأسر ، وحفزٌ للتلاميذ ، وتأديب للمقصرين ، الذين سنحت لهم الفرص، فبددوها ، وطابت لهم السبل،



فتركوها، ولذلك نشجع إخواننا من أئمة المساجد إلى انتهاج ذلك التحفيز ، وإحياء المسجد بمناشط مباركة، وبرامج هادفة، تحت مظلة الوزارة والجهات المعنية، وفق الله الجميع .



١٧/ لذة العطاء:

______**______

- من جماليات العطاء الدعوي ، أن زيادته سرورٌ وانشراح، وخير وأفراح ، وبهجة وارتياح .. وفيه سحر مصبوب ، وشهدٌ مسكوب ، وتاج معصوب. ولو حاولتَ وصف تلك الحالة البهيجة التي ينالها الدعاة المثابرون ، لما أفلحتم ولا أنجحتم..!

- وقد حصل له مرةً أن شارك ست محاضرات في أسبوع ، ضُغطت عليه، وما رتبها هو، فأحسَّ ببهجةٍ في داخله ، وإشراقة تخللته تخللاً، صنعت منها سعادة غامرةً، ولذاذةً متناهية ...! ولحظها بعضُ الناس عليه، فأدرك كم هم



مقصرون في الدعوة ، وأنَّ عطاءها الدائم خير من الاقتصاد الشحيح ، أو الترتيب المستبخل..!

- وقيمةُ هذا العطاء يجعلك في إطار الانشغال عن الناس وعثراتهم ، وجدليات طلاب العلم ، فتصبح في كوكب البذل، وتغني للتسامح والتصافي، وتعيش بركة الانتفاع بالعلم، وخدمة الأناسي ...(وجعلني مباركًا أينما كنت) سورة مريم ..!

- ويسلم الداعيةُ الجواد نار الخصومات، ومشاق النزاعات ، ويغلبُ الدعوة والنفع على كل تنازع وخصام ومجادلات ولسان حاله :



وأُحِـبُّ كُـلَّ مُهـذَّبٍ ولـو انـهُ ** خصمي وأرحَمُ كُلَّ غير مُهَذَّبِ

يَأبى فُؤادي أَن يميلَ إِلى الأَذى ** حُب الأَذيَّةِ مـن طبـاع العقـربِ

والسلام .،،



١٨/ تشويشٌ في اللقاء:

تحدّثَ لم يدر بما كان واقعًا ** وألقــى كلامــا طيبًــا متتابعًــا

ولكــنَّ تشويشــا أطلَّ بجنبـه ** فأفضى بما يفري وما كان مانعًا

________**________

- كان من عادته إجابةُ دعـوات الـدوائر الحكومية ، ويـدرك عظمةَ حاجتهم إلى النصح والدعوة.. فزار الشـرطة والـدفاع المدني والمستشفى وعددًا من المدارس... وذاتَ مرة رتّـبَ الأخ الصديق محمد يحي الهاشـمي رحمـه الله، محاضـرةً في السـجن، وفرضـها فرضًـا ، وكانـت إيمانيـة ترقيقيـة مخففـة، وهي أول تجربة له...! دخلَ بهـا مجتمعـا جديـدا وجمهـورا مختلفا...! ويعلـمُ أنهـم في معانـاة وكـرب، وكيـف سيكون



خطابهم ...وكذلك حظيت بدعم نائب مدير السجن في حينها الضابط محمد الشهري وفقه الله .

- حضرَ الموعد ، فجاء فاستُقبل من عسكر السجن، وهيأوا المكان مشكورين ، ثم انطلق متحدثًا ، وكانت الأغلبية مصغيةً، وفجأة يصرخ سجين، ويحاول تشويش المحاضرة، فسكت قليلا يستمع ما يقول ..! فقال العسكر : كمّل كمل يا شيخ، هذا ما هو طبيعي ، ودائمًا دأبه الضجيج والتشويش ...! فأكملها.. ولكن الرجل عادَ مرةً إلى التشويش ...! واختصر في المحاضرة ثم ختمها... ثم استمع إلى بعض أسئلتهم ، وانتهى اللقاء بسلام. وسألهم عنه فقالوا : منقول هنا نقل تأديبي.



- ولكنهـا كانـت صــدمةً أن يقاطعـك إنسـانٌ في محاضـرة معترضًا، ويصف مشكلةً له، ويأبى الإنصات مع نصحه منك ومن الحضور. وكما قلنا سابقًا: يـوطنُ الداعيـة نفسـه على شبه هاتيك المواقف .

- واستفادَ من هذه الزيارة، أن لهؤلاء السجناء حقوقًا علينا في الدعوة والنفع والمناصحة ، وبلادنا الحبيبة تولي ذلك عنايةً، وتقدمُ لهم كثيرا من الخدمات ، ومنها الدعوية باستضافة الـدعاة والتربـويين لنصـحهم وتعلـيمهم، وهـو مـا يشـاهد غالبًا..!

- ولكـن لـيس كـل الـدعاة يصـلح للسـجن، فهـم يحتـاجون الوعاظ المـؤثرين ، ولـيس يعـد نفسـه منهم، ..! ويحتـاجون



كلمات السعادة واللطف، والتي لها فرسانها! وينفعهم عباراتٌ ميسورة ، قريبة المأخذ والفهم، وليس هو من أقطابها ..!

- والمقصدُ أنّ تلك التجربة مهمة للغاية، وأدرك أنه ليس من أصحابها المؤثرين ، ولذلك كانت أول زيارة وآخرها ، واتجه لكل الأماكن ، إلا ذلك الموضع لم يستطع استيعاب حاجاتهم ، ويوجدُ دعاة لديهم القدرة الكافية على تحقيق ذلك، وسد ثغرات الاحتياج ، لكنه لا يحبذ ذلك لنفسه ، لكن لو تحتم الخطب للبى وأجاب.. والله الموفق .



١٩/ حينما صعِد خطيبٌ محلك:

خطيبٌ ولكنْ قبله ثـم صـاعدٌ ** وصوتٌ له في الخافقينِ عجيبُ

أيصعدُه قبلي وقد كان مشلحي ** رفيقـي وكفّـي خطبـةٌ وصـبيبُ

______**______

- لعلَّ من أغربِ المواقف وأعجبِها ، أن تتجهَ إلى الجامع فتجدَ إنسانًا قد سبقك ، وبادرك بالقيام... وإذا الصوتُ يجلجلُ في ساحاتِ الجامع ، وأنت في السيارة، فيغشاك العجبُ، وتصابُ بالاندهاش ، وهل وكّلَ الخطيبُ اثنين، ثم اضطرب التنسيقُ ، وتعدد الوكلاء..

- وقع له ذلك فقد وكله الشيخ القاضي الصعب حفظه الله قديمًا قبل ارتحاله، فجاء إلى المسجد فسمع صوتا قبله،



فتعجب، ولكنه نزل من السيارة وذهب المسجدَ مستمعا ،

وكأن شيئًا لم يكن.

- ولما تفكر في ذلك وسأل قالوا : ظن الخطيب أن فلانًا لا يحضر هذا الأسبوع.وقد وكله على باقي الخطب مدة السفر.

- والمهم أنها مواقفُ متوقعة ، وأحداث قد تزاحم الخطيب والداعية ، وما عليه إلا التصبر والاحتساب ، وأن لا يحدث مكروهًا أو جلبةً... ولا يعيبك أن يسبقك إنسان ، أو يتجاسر على المزاحمة، فإنما الأعمال بالنيات ...! وعلى ذكر المزاحمة المذمومة ، وكلتُ مرة بعض طلاب العلم ، فتردد فقلتُ: لماذا .. فقال : جئت مرةً فوجدتُ شخصا



محلي، وقد سبقني . فقلتُ: والله لا أوكل اثنين ، ولم أُصب بالزهايمر، والحمد لله.

- ثم علمتُ لاحقا ، أن ثمة أناسًا يفعلون ذلك ، ويحبون المطاولة والبروز، ولو على حساب القيم الخلقية، ووجدتُ ذلك الشخص المتجاوز من تلكم الأصناف، التي قد جفّ حياؤها، وذبُلت كرامتها، والله المستعان ..

- وقد سمعتُ مرةً عن تنازع عدة أئمة على جامعٍ كبير شهير، كلٌّ يتمناه ويرجو الظفر به، فقلتُ : إدارة المساجد هي من توجه وتختار ، وليست الجوامع محلاً للتنافس والتقاتل ، والله المستعان .



- ومرةً تأخر خطيبُ جامع اليحيا فوجد شخصًا مكانه قد صعد، ولم يكن تأخره مسوغًا للاستعجال، ولكنه يعلم نية ذلك الأخ ، وأنه اجتهادٌ سائغ، وليس جسارةً متعمدة كما قد صُنع في جامع الفهد...!فدخل الجامع واستمع لخطبة أخيه، ثم اتصل معتذرا ، بأنه أحس بالتأخر ، وتلفت الناس ، فرغب في إنهاء الموقف ... فتقبلها بكل صدر رحيب...!



٢٠/ زيارة في محفل القضاة:

تذكرته دهرًا وقد كان طالبًا ** وقورًا وصارَ اليوم عندنا قاضيًا

فما غيّرته الحالُ بل هو محسنٌ ** قديمًا وباتَ اليوم أروعَ ثانيًا

ـــــــــ**ـــــــــ

- بعضُ طلابنا الفضلاء ومن شعّت عليه محاسنُ الصفات، ومن درسناه قديمًا ، ودامت الصلات بيننا وبينه .. الشيخ الدكتور عبد الإله القحطاني حفظه اللهُ، حسنُ العلم والخلق، والصوت بالقرآن...! درسهم مصطلحَ الحديث في السنوات الأولى من الشريعة... وتعرف عليه ، ثم دعاه لمحاضرات ثرية في "جامع الوابل بأبها " ، وهو لا يزال طالبًا كانت إحداها (وقفاتٌ من حياة ابن المبارك) ومرة (وقفاتٌ مع ناصر الحديث) الشافعي رحمه الله .



- ثم تخرج من الكلية ورُشّح قاضيًا في محافظة العقيق من الباحة، فطلبَ محاضرة، فاختير لها موضوعٌ جميل في السيرة النبوية (رسولنا المبتلى) ثم سافرَ إلى مصر لحضور معرض الكتاب الدولي، وهو تظاهرةٌ ثقافية رائعة ، لا يحب تفويتها غالبا. فتواصل معه الشيخ بأن المحاضرة حان وقتُها، وصارت (الصبر في الكتاب والسنة) فاستغرب ذلك.، وقال: عنواننا جميل، وليس فيه مطعنٌ ولا مستنكر.فقال الشيخ: مشّها يا شيخ وننتظركم.
- فاضطر لقطع الرحلة المصرية والعودة سريعًا ، لإنجاز المهمة، وكانت يوم جمعة، ولا يحب محاضرات الجمعة ، ويعتقد كفاية الخطبة ، وترك الناس يرتاحون ...! ولكن



هكذا حصل . وصَحِبه بعضُ الإخوة دعمًا وتنشيطا ، جزاهم الله خيرًا .

- وكانت أولَ زيارة دعوية خارج نطاق محلتهم، وتكلفهم سفراً وهمًا .. فحضر في المكتب التعاوني تقريبًا ، ووجدَ القاضي الشاب وقد احتشد هو وطلاب العلم في الاستقبال ، جزاهم الله خيرا ، وبارك في جهودهم .

- وكان كما عرفناه تواضعا وأدبًا جمًا، ولم تغيره المناصب أو تذهب به الوجاهات. كأنه كما كان طالبا في مستويات الشريعة الأولى. وتعجب من ذلك وقد زاره الشيخ القاضي عبد الرحمنِ الصعب في محكمته ، وهو مفتش قضائي ، فسُر بما شاهد وعاين، وحدثه بذلك في الهاتف، فقال له: ذاكَ من



خيـرة طلابنـا، ويحرجـك بأخلاقـه وآدابـه .. والحمـد لله أن الغراس أثمرت في مواضعها ، ونسأل الله لنا ولهم الإخـلاص والثبات .

- ولا تزالُ الصلةُ باقية معه وبغيره من طلابنا القضاة ، الـذين نفاخر بهم ونشرحُ لحديثهم وتأثيراتهم، وقد كـانوا تلامـذة، وبـاتوا الآن أسـاتذةً وعبـاقرة في مجـالاتهم وتخصصـاتهم ، رزقنا الله جميعا القبول .



٢١/ محاضرةُ ناصعة البياض:

وفي يومٍ وقد نصعَ البياضُ ** محاضرةً لها طابَ الرياضُ

يُحيِّينا الصفاءُ بكل لونٍ ** وتورقُنا المباهجُ والحياضُ

______**______

- هي تلك التي تحملها الروحُ المنشرحة، والقلبُ الرضي ، والفمُ المنبسط، والعبارات الفسيحة، والكلمات الباسمة، ذات المعنى الحاني اللطيف، والأنسام الرقيقة المنسابة..! ولذلك إذا انشرح أعطى وأوفى ، وإذا انقبض ود التأجيل والاعتذار .

- ودائما يقول مثلا في خطبة الجمعة: إذا لم تنشرح النفس فقم بالاعتذار، واستخلف أخًا مبدعًا، يسدُّ الفراغ...!



- وكذلك المحاضرات .. نجاحُها من نجاحِ النفس وفلاح الفؤاد ، وطيبة الروح، وهي من مُسببات حسنِ الأداء ، ودقة الإلقاء ، وليس معنى ذلك ترك التحضير ، أو التخفف من المعلومات والاعتماد على مجرد إنشائيات فارغة كلا ... بل لابد من الاستعداد العلمي والنفسي والروحي، حتى تصيبَ المحاضرة هدفها، وتحققَ الغراس منبعها.

- وبحمدِ الله تيسر ذلك في مواقفَ كثيرة... ومن أحسنها وقد انتشرت كثيرا ووُثقت إعلاميا.. محاضرة (من روائع السلف) ، والتي كانت ضمن مهرجان "مركز قنا الدعوي"، وبُثّت كل المحاضرات في القنوات، شاكرًا للإخوة الكرام في قنا تهامة، حسنَ حفاوتهم وترتيبهم، لا سيما أعيانهم،



وأخص بالذكر هنا الشيخ علي المطري حفظه الله، الممطر دائمًا بخلقه وحسن احتفائه ، وهو مع تواضعه وانشغاله، لديه رؤيةٌ إعلامية تفتقدها كثير من الجهات الدعوية التي لا تزال في غابر الزمان، وينكرون البعد الإعلامي للدعوة الإسلامية ..!

- وقد مازح بعضهم كالتقليديين في التعاطي الدعوي : ورجّعونا دولةَ الأقادمِ... أيام عنتر والزير سالِم.. أيام لا علمَ ولا حاسوبُ... وإنما الغاراتُ والحروبُ...!

- ولذلك انتشرت تلك المحاضرات في القنوات الإسلامية لا سيما قناة الرسالة ، خلافًا للمتجاهلين أو الساخرين، أو الباخلين بالمال ...!! وتلقى بعضَهم يبذله في مناشطَ حينية



محصورة ، ويهمل الإعـلامَ وتدفقـه، وانطلاقاتـه الفسـيحة في أرجاء المعمورة ..!

- وبالمناسبة أخذت تلـك المحاضـرةُ وقتًا لـيس يسـيرا فقـد استغرقت قرابةَ الشهر في الجمع والتحضير والتحليل ، حتـى يسّر اللهُ الإخـوة في قنـا لاحتضـانها والترتيـب لهـا، فشـكر اللهُ مسعاهم ، وكـذلك خطيـب الجـامع في قنـا الشـيخ إسـماعيل وعبدالرحمن الثوبانيان حفظهم اللهُ ، وقد كانَ الترتيب فائقًا، يدل على حُسن التخطيط والإعداد المسبق ، وغالبًا زيارتنـا لمنطقتهم توحي بابتهاجهم وحسـن اجتمـاعهم، وسـرورهم البالغ، وفق الله الجميع .



٢٢/ من أثقلِ المواقف:

ثقُــلَ العلــمُ علينــا ** عنــد قــوم طيبـــينْ
كلمـــا قلنـــا حـــديثًا ** كـــان فـــوق النـــاظرينْ
ســـرحَ القـــومُ بعيـــدًا ** وتمطـــوا نـــائمينْ

________**________

- من المواقف المحرجة وأثقلها ، أن تكلفَ قَسرًا بموضوع علمي في بيئة لا تحتمله ، كأحاديثَ معمقة في العقائد والأفكار ، وصعيبةِ التقريب أمامَ شيوخنا وآبائنا الكبار. وكلما حاولتَ التيسير وقعتَ في التعسير. أو أنه ليس قابلًا لذلك النهج المدبر....!



- وهذه محاضـرةٌ رُتبـت حسـب بعـض البـرامج المنتظمـة ، وكلف بهـا الفقيـر إلـى الله ، وانطلـق صـوبَ وجهتـه ، فوجـد الجـامع الكبيـر المعظـم ، لا يؤمـه إلا العجـائزُ الكبـار، والموضوع شاقٌّ عسر، ليس له إلا مواضع النخبة والكليات الشرعية . فكانت محاضرةً ثقيلة.
- عانَى مرارتها، واستطعمَ متاعبها.. ولكن ما باليدِ حيلة ، مع محاولـة الاسـتطراد في التـراجم والـرواة المـذكورين إيمانيـًا وقصصيا، ولكنّ الحالة كانت قاهرةً، والله المستعان .
- أشبهَ ما يكونُ بمن يلقي على أطفال صغار موضوعا فقهيًا عاليـا ، أو يخاطـب جماعـات مـن البـدو حـديثا صـعبًا ، أو



يطعمهم ما لا يسوغ أكله. ولكلٍّ مقام مقال، ولكل معشر ما يلائمهم ويناسبهم.

- ولذلك نصيحةٌ مليحةٌ لذوي التنسيق ، خاطبوا الناسَ ما يعرفون ، وضعوا للجوامع والمدارس والبوادي ما يليقُ بهم، ولا ينفرهم أو يجلبُ نومَهم ونعاسهم..! ولذلك أصلٌ في التراث، قال ابن مسعود رضي اللهُ عنه : (ما أنت محدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) وقال علي رضي الله عنه:(حدثوا الناسَ بما يعرفون، أتريدون أن يكذبَ اللهُ ورسوله). والسلام .



٢٣/ الحفاوةُ بالحضور:

وإذا شرعتَ بذي الدروس فحلِّها ** بهديةٍ وحوافزٍ ومنالِ

تجد العيونَ إلى العلوم نواطقًا ** بمحبةٍ وتهافتٍ وسؤالِ

______**______

- ليس شيءٌ مثلَ تقدير الناس ، وصب الثناء عليهم، أو منحهم هدايا وحوافز ، تشد انتباههم ، أو تعلي حزمهم ، ..! وفي الحديث الصحيح : (تهادَوا تحابوا) . ولذلك كان من توفيق الله تعالى له، أن حرص في غالب الزيارات والدروس العلمية اصطحاب كتيبات له أو لغيره ، والمقصدُ تنشيط الهمم، واجتذاب العقول، ودفع النوم والملالة.



- ولـذلكَ انتهجهـا في دروس ثابتـة كـدرس الحماطـة في "العمدة" ، ودرس زيد بن حارثة في "القرآن القصصي" ، يختم بها بين الأذان والإقامة ، فيسأل أسئلةً في الدرس، ومن بركاتها لفت الانتباه، وتشجيع الحضور ، وغالبًا ما يأتي أناسٌ ليسوا من روادها فيندهش من حسنها وآثارها على الأطفال والشباب..!

- ومَن فوائدها: حملُ الحضور على المشاركة ، وكسر حاجز الحياء، وتخففُ الشيخِ من التلقين المستديم ، بحيث يصبح الكلام من طرفين وليس من طرف واحد، وإحداث مسار تفاعلي في الدرس، يُلهبُ جُملَه، ويحلّي طروحَه، ويذهبُ كسلَه وتعبه ..!



- ونقـول ذلـك مـن واقـع التجريـب الممـارس، والتطبيـق العملي، ولقد عاينَ مدى أثـر الهدية والتقـدير على النفـوس وهـو أسـلوبٌ تربـوي يحبـب الآخـرين للـدرس ودخـول المساجد ..!

- والعجيبُ أن بعضَهم يقول لا جدوى من ذلك.. ويزيـدُ علـى ذلـك ثقـلُ الطـرح ، وشـدة الأسـلوب ، ووعـورة الموضـوع، فيغـتم النـاس وهـو لـيس بهـم بشـاعر ، ولا دارٍ بوضعهم أو ماهر. وربما دلَّ ذلك على قلة الفقه ، وانعدام المعنى التربوي في العلوم والمحاضرات .

هَدايا الناسِ بَعضِهِمُ لِبَعضٍ ** تُوَلِّـدُ في قُلـوبِهِمُ الوِصـالا

وَتودِعُ في الضَميرِ هَوىً وَوُدّاً ** وَتَكسوهُم إِذا حَضَروا جَمالا



- وإذا عزّت الهدايا والكتب والتحف ، فلا أبقى من شعرٍ لطيف، وأدبٍ جميل كما قال القائل : سيبقى فيك ما يُهدي لساني ... إذا فنيت هدايا المهرجانِ. قصائدُ تملأ الآفاقَ مما. أحلّ الله من سحر البيانِ...! والله الموفق .



٢٤/ صفوة مؤازرة:

وهيَّأ ربي صفوةً لو تجمّعوا ** على صخرةٍ صماءَ لانهدتِ الصخرُ
وزانَ بهم ذاكَ اللقاءُ وأمطروا ** عناقيدَ حُبٍّ هي الزهرُ والنصرُ

______**______

- يشُدُّ اللهُ عضُدَ الداعية بإخوة يحملونَ همَّه، ويدعمون طريقه، ويشحذون عزيمته، ويحضرون وقته...! ولذلك كان جماعة من حي جامع الفهد، محل حفاوة بدرس الإثنين، أول انطلاقتنا المنظمة ، الذي أسس كل أسبوعين، وأحبابك المعنيون بالدعوة تثاقلوا... ومن هؤلاء الفضلاء : الأساتذة أحمد زايد أبو سلطان وأحمد معوض ، ومحمد طالع أبو سامي ، مصمم الإعلانات... والاستاذ احمد الأحمري . وإذا شُغل المصمم، نشط المكتب التعاوني وقام



بـذلك مشـكورا ، ثـم صـار الـدرس أسـبوعيًا، فلـم ينقطـع دعمهم ، ولا خفي تشجيعهم ..!

- **وأحيانًا يكونون هم جمهـورَ الـدرس،** وحضـوره ، ويوافـق تكـريمَ طلابنـا في الجـامع، فتنشـطُ الهمـم، وتكبـرُ المهمـة، وتتعـاظمُ الحفـاوة ، ويتحـولُ الـدرس إلـى محفـل دعـوي وثقافي.. ومـن المؤسـفِ أن الخاصـةَ الـذين رحبـوا بالـدرس ابتداءً، تلاشى جمعُهم، وغـاب حـدُّهم وحديـدهم..! وبقـي هـو وحيـدًا بعـد الـدرس ويجمـع لـه ويخطـط، ويستشـرف أهدافه... كما قال عمرو بـن معدي كـرب الزُّبيـدي: ذهـبَ الذين أحبهم... وبقيتُ مثلَ السيف فردًا...!



- واحتمل القضيةَ على كاهله ، فلم يبقَ ناصحٌ أو ناقدٌ أو فارز ، سوى صفوةِ جماعة المسجد جزاهم الله خيرًا ، وبقي هو لوحده مخططًا ، وراسما خطة الدرس الدعوية، ووفق الله وأعان: أَعددتُ للحَدَثانِ سابغةً.. وَعَدَّاءً عَلَندى... نَهداً وذا شُطَبٍ يَقُدُّ...البَيضَ والأبدانَ قَدَّا.

- وبرغم ما قد يخالطك من إحباط ويأس من بعض شباب محايل المتدينين، إلا أنك قد تجد النصرةَ من آخرين ليسوا على بالك ، والمهم أن تصلحَ النية ، وتقوى العزيمة، ولا تفتر من جراء خذلانٍ ، أو تراخٍ مصطنع...

- ولم ينقطع بحمد الله الدرس من جرائهم أبداً ، بل قيّض اللهُ له جمهورًا ، وشبابا أحبوه، وإخوةً من القرى ، وأساتذة



ارتـاحوا لـه.. واسـتمرت العنايـةُ العلميـة بـه ، وجـاء أسـاتذةٌ أخيار من المعهد العلمي ،وطلبـوا درسًـا في الفقه بـديلا عـن سفر الشيخ الصـعب وفقـهُ الله، فلبى دعـوتهم بعـد الإصـرار والمشـــاورة ، وانعقـــد درس "فـــتح العـــلام اختصـــار ســـبل السـلام" لصـديق حسـن خـان رحمـه الله ، ولـم يتوقـف إلا بسبب الرحلة المصرية ، والحمد لله على مننه وتوفيقه .



٢٥/ فنُ اختيارِ العناوين:

وفي دقة العنوان عقلٌ وروعةٌ ** ودعوةُ آنامٍ ومجدٌ ومفخرُ

وفيه ترانيمُ اللغات وعزفُها ** وفيه مباهيجٌ وعطرٌ ومخبرُ

______**______

- هي موهبة يؤتيها اللهُ بعضَ الناس، وكان بعضُ مشايخنا يسحرنا بعناوينه ، وكلما كان الشيخُ واسعَ الاطلاع، لصيقا بالآداب وفنونها ، كان أجدر في الاختيار ، واجتلب الناس بعنوانٍ ساحر ، أو ألفاظ مؤثرة عميقة .. فمثلا : العنوان بآية قرآنية غالبًا ما يكون جذابًا ، وكذلك النصوص النبوية ففيها سحرٌ وجاذبية، وعمق ورسالة...! فمثلًا بدلا من قولنا: وقفات من قصة يونس قل :(فنادى في الظلمات) أو (فلولا أنه كان من المسبحين) ففيها استلابٌ للأفهام



والقـراء والمتـابعين ، وتحملهـم علـى الحضـور والترقـب ، والاهتمام.

- وكذلك وعيه الشعري والبياني يساعده على حُسنِ الاختيار ، فمثلا : الحديثُ عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، تخير له (ثـانيَ اثنـين إذ وهمـا في الغـار) ونـاسـب الاختيـار للفـاروق رضي الله عنه بكتاب الذهبي رحمه الله (نعم السمر في سيرة عمر) وقال عـن عثمـان رضـي الله عنـه: (رجلٌ تستحي منه الملائكـة). وفي علـي رضـي الله عنـه : (يحبـه اللهُ رسـوله، ويحب الله ورسوله).

- وعنـونَ في قضـايا السـيرة النبويـة ، وكـان مـن أوائـل الطروحـات فيهـا:(سـاعاتٌ شـديدة مـن حيـاة رسـول الله)



(رسـولنا المبتلـى) ورفضـتها بعـض الجهـات كمـا تقـدم .

(فأتـاهم الله مـن حيـث لـم يحتسـبوا). (الإيمـان الباسـل) .

(رحمة للعالمين) .

- ونوقشت بعضُ القضايا الفكرية والثقافية نحو: (أسباب ضعف المسلمين) (من أخطاء المثقفين) (أسباب ضعف التفاعل مع قضايا الأمة) (صفحة للحوار) (نـاجحون عبرَ التاريخ) ..!

- وأما قصصُ الأنبياء فالعنْونةُ بالآيات ، خيرٌ من قولنا : وقفـات أو دروس ... وكانـت كالتـالي : (لقـد كـان في قصصهم عبرة) ولما تكررت قال : (مظاهر العظمة في قصة يوسـف) . (سـيعلمون غـدًا مـن الكـذابُ الأشـر) (قُتِـلَ



أصحابُ الأخدود) (فإذا خفت عليه فألقيه) (وجعلني مباركًا أينما كنت) (قال رب إني دعوت قومي..) .

وأشباهها.

- وفي سير العلماء غالبا ما تعنونُ بوقفات أو تأملات ، ويذكر لقبه العلمي مثل :(معالمُ من حياة إمام السنة) (وقفاتٌ مع ناصر الحديث) (شذرات من حياة إمام دار الهجرة) (علم من بغداد) (والقاضي الأميرال) أسد بن الفرات رحمه الله ، (سادات المتقين) (قوارير وعزائم) (قيمٌ من حياة ابن القيم)، وأمثالها.

- والمحصَّل هنا : أن العنوانَ تعبير عن الذات والعقل ، والثقافة وحسن الاختيار ، ولطفه ودقته رايةُ جذبٍ للناس،



والقـراءة الواسـعة للأدبـاء تفـتح آفاقًـا في فـن العنـاوين ، والإجادة فيها.

- وفي المواسـم : (قصـص رمضـانية) (تحايـا رمضـان) (يـا باغي الخير أقبل) (ورسائل إلى الحجيج)...! وأخطأ مرة فقال: (شرحُ حديث جابر في الحج) ولو قال : (خـذوا عنـي مناسككم) او (صفة الحجة النبويـة). لما أحسـن وأجمـل وأعم.

- واحـذرْ في " العنـوان الـدعوي والتـأليفي " مـن محاكـاة الآخـرين إلا لنكتـةٍ وحكمـة، ينبـه عليهـا في مفتـاح الكـلام ومداخله . وكلما استقل فكرا وعنوانا ، كـانَ أفطـن وأجمـلَ اختيارًا ، والسلام ...!



٢٦/ المحاضرةُ المفروضة:

ولما غُصِبنا للدروس وهمِّها ** تهمم قلبٌ في الحديثِ وجِيبُ

فعشنا فراراً دهرَنا وبُعيدها ** تحنكَ فكرٌ واستجابَ رغيبُ

______**______

- في أوقاتٍ تُفرَضُ المحاضرةُ ، أو الندوة عليك فرضًا ، فتبيتُ مضطرًا لتلبية الدعوة ، لا سيما إذا كنتَ مقتدرا ، وتملك الآلاتِ المحددة..! ولكن أحيانًا يحسّنون بك الظن ، لشكلك أو عملك أو لحيتك ، وأنت لا تُحسنُ موعظةً عند أهل البادية...!

- وقع كل ذلك للعبد الفقير.. وساعات الاقتدار، تيسرت ولانت كما تقدم. وساعات الاستضعاف عجز، وفر، واعتذر.



- فمرةً رتبت جهةٌ في بعض المحافظات القريبة من عندها تحسينا للظن وأُعلنت صيفًا ولم تتأكد ، وذهب ولم يؤكدوا الموعد.. ففرح وسافر مكة...!
- ومرةً في كلية الشريعة "لقاء أدبي" قسرا عن "المنظومات العلمية" ، مع النشاط الطلابي باشراف د. عبد الرحمن معاضة الشهري، فحضر مكرهًا، لما شاهد اسمه، وجذبه الإخوةُ المنظمون ، وبضغط من الشيخين عبدالله الشهراني ويوسف الغامدي وتمت وتذللت.
- ومرةً مكتب الدعوة في جدة قصدنا في كلية الشريعة، وكان قريبَ العهد بالتخرج ربما سنة ١٤١٥هـ وكان المنسقُ يترجى مشايخ القسم للمشاركة ، والعبد الفقير لا يزال حدثًا



في هـذا السـياق فلـم يسـتجب لـه سـوى الشـيخ د . عبـدالله الشـهري وفقـه الله! لكنـه ذهـب، وقـال الحضـور في محايـل أحسن من جدة، تلك المدة .

- ومن العجيب أن بعض الجهات تنسق وتقصـر في الدعاية الإعلاميـة ، وقـد لا تخبـر إمـامَ المسـجد ليسـتنفر النـاس، فيخيب ظنُّ المحاضر ، ويكره تكرارها.

- والمقصود أن الاستعداد لحديث "ساعة كاملة" يحتاج إلى أُهبة علمية ونفسية وبيانية...! وقد كان يستصعب ذلك في أول الأمر، حتى ذلّل المولى صعابَه ، وكسر قيـودَه، وفـتح آفاقه ، فلانت الكلمات، وتزاحمت الموضوعات، وانزاحت المشقات ، ولله الحمدُ والمنة .



٢٧/ العلومُ المصورة:

ولو أن إعلامًا تقدَّمَ حسُّه ** لأنبتَ ريحانًا ووردًا وجوريًا

ولكنْ نظرنا نظرةً سطحيةً ** فغبنا وقد طار الأنامُ معاليا

______**______

- بات الإعلامُ للدعوة غيثًا مغيثًا يورقها وينعشها، وينقلها إلى حدائقَ ذات بهجة ، وتصل أنسامها أماكنَ بعيدة ، ومن فضل الله أنه كان من أوائل طلبة العلم، الذي استوعبوا تلك الأهمية ، بدءًا من تحويل الاعلانات إلى ملونة ، ومرورا بالتصوير بالفيديو ، ثم انتهاءً بمواقع التواصل الاجتماعي ، وتدفقاتها المذهلة . ولما حدث بها بعض الجهات الدعوية، والتي يفترض امتلاكها لأرشيف إعلامي موثق، يوازي جهود اهل الباطل، ويعكس الصورة



الجماليـة للـدعوة، تعجبـوا، وسـخرَ بعضُـهم وتضـاحك، والآن بعد عقود من الزمان يتباكون على تلـك الـذكريات ، والتي كان فيها المال مذللا مبسوطا ..!

- ولما انطلقت المسيرةُ الدعوية المتواضعة ، كـان لابـد مـن وعي الرسالة الإعلامية والعناية بها، وتوثيق كل ذلك الجهـد المتعوب والمحضر تحضيرا مرضيًا.
- فكلمـت الجهـات والجمعيـات فاعتـذرت ، ثـم انصـرفت الجهود الفكرية والاقناعية للأفراد ، واستجابَ بعض طلابنا كالشاب أحمد الألمعي حفظه الله ، ووثق عشـرات الخطـب والمحاضرات في اليوتيوب على قناة أسسـها بنفسـه ، فجـزاه الله خيرًا.



- ثـم أسـهم الأسـتاذ عمـر محمـد، مـع بعـض الإعلاميـين كالأستاذ وليد السرحاني ، وسُجلت عدد من دروس رمضان ومحاضرات مشهورة ، بأداء إعلامي رائع فائق .
- ثم اتجهنا إلى مقاطع صـغيرة دعويـة، "كبـرامج الواتسـات " وحالته الرائجة، فصُورت نحو (٢٠٠) مقطعًا مختصرًا ، عن طريـق الأسـتاذ علـي موسـى الأحمـري وفقـه الله ، صـاحبنا وتلميـذنا القـديم، والمحـبُّ للـدعوة وأهلهـا ، فبـذل جهـدًا كبيرًا ، وسعيًا حثيثًا ، في التغطيـة الإعلامية محتسـبًا ومحبًا ، فجزاه اللهُ خيرًا . وفيه قال القائل: عليٌ له الحسنى بـذا العلـم إنه محبٌ خبيرٌ بارعٌ ووَصولُ.. يظل يَحيك العلم مفضال إنه لبيبٌ بذاك الفنّ وهو أصيلُ..!



- ولا يزال مستمرًا الى هذه اللحظات محبًا وموثقا للجهد الإعلامي ، عبر المقاطع الصوتية ، أو مصورات الفيديو الكاملة .

- وفي الفترات الأخيرة ، برز ابننا "سليل"، وهو طفل صغير ، ولديه قدرات لا بأس بها، وصُمم مقاطع مختصرة، وترسل للفتى الأحمري تقويمًا وتصحيحًا ، بوركت الجهود، ونسال الله أن يصلح لنا الذرية والنية .

- ونعتقدُ أن الدعوة قد ارتقت مع النهوض الإعلامي الساحر، هذه الأيام ، وكيف اهتدت أمم في العالم الفسيح، ونفع الله بجهود متواضعة ، ولكننا نحتاج فيها حاليًا إلى متخصصين ومعتنين بها، وأقسامًا تضطلع بها . وأن تنزاحَ



النظـرة التقليديـة القديمـة، التـي حرمـت الـدعوة التوثيـق ، وزهدت في مشاريع إعلامية راقية، والله الموفق .



٢٨/ برامجُ موؤدة:

تمرُّ بذي الدنيا تجاربُ ميتةٌ ** بها يهتدي الإنسانُ والبعضُ يتعبُ

ولكنها درسٌ وعمرٌ وخبرةٌ ** وكل بعيدِ الهم فيها معذَّبُ

______**______

- أحيانا تقومُ بعضُ الجهات ببرامج دعوية وعلمية محمودة، ولكن يعيبها عدمُ الانتظام ، حيث تنقطعُ فجاءةً، ويتلاشى الخيرُ ، ويتبع التلاميذ . ويذكر برنامجًا علميًا جيدًا، زامله فيه بعضُ الشيوخ وأنتجوا إنتاجا حسنًا ، وكُرم فيه الطلاب بعد سنة ثم قطعوه بلا مسوغات.

- وناصحهم ولكن دون جدوى ، وعادوا إلى دروس المساجد أو لقاءات إيمانية عامة..! وتناسوا أنّ برامجَ التأصيل العلمي ضروريةٌ للشباب، وإضعافها أو قطعها ليس



من الحكمة ولا المنهجية الدعوية، لا سيما وأنَّ الزمان زمانُ فتن وشهوة ، واشتدادُ بلبلة وغفلة ، والجيلُ في أمسِّ الحاجة إلى العلم والفقه البنائي والتربوي..!

- ولذلك مع عنايتنا بالتربية الإيمانية للشباب، لا بد من إذكاء التربية العلمية في هذه الأعصر المتأخرة ، وقد انتشرت الشبهاتُ ، وأفكارُ الحيرة والارتياب . ويذكر لما انقطع البرنامج التأصيلي ، جاءه بعضُ الطلاب مستغربين الانقطاع ويتساءلون ما الذي دهاهم. وكيف نعوض وحاولوا التعويض ببعض المجالس الخاصة "كمجلس عمدة الأحكام" ، وكان يحضره قرابة ثلاث عشرة طالبًا ، من خيرة الشباب ، استقامةً وهمةً وإقبالًا .



- وأيضا من التجارب الموؤدة ، "درس السيرة النبوية" في جامع الراجحي عند الشيخ عبدالله القرني حفظه اللهُ، وقد استمر نحو سنة، ولكن الحضور كان قليلا كالغاية.وتساءلوا قيل: دروسُ أبها تغيرت واعتاضوا عن المحاضرات بكلمات مختصرة بعد العشاء.. ولم تكن محايل تهامة كذلك، بل الحضور جيدًا للغاية ..! فاضطر لتغييرها إلى كلمات موجزة بعد العشاء ، وكانت شهريةً ، ويمشي معه بعض الطلاب، حيث تكاثرت الشاحنات في عقبة شعار. وغالبا الأستاذ أحمد الزيلعي خيرُ رفيق ومعين في الرحلات الدعوية.



- وتجربة أخرى في منطقة مجاورة وطلبوا درسًا في السيرة أيضا ، ولم يوفوا لشرطه ، فانقطع بعد ثلاثة أشهر، بسبب ضعف التنسيق ، وقلة الحضور ، وتلاشي الاهتمام.وكانوا يميلون للمحاضرات العامة، وهي لم تنقطع معهم في الغالب.
- وبحمد الله أنّ هذه التجارب قد استفاد منها، وعرفَ بها نفسيات القوم ، ومدى اهتمامهم وصبرِهم وتطلعاتهم، ولم تفتَّ في عضده، بل بقي صبورًا محضرًا مهتمًا ، يزور غيرهم، ويفيد في مناطق مجاورة لهم .
- ودائما نكررُ على الدعاة الصبر والاحتساب وأن لا ينقطع الخيرُ إلا من جهات الطالبين وليس الباذلين ، فهكذا الدعوة



إقبـالٌ وإدبـار ، ونشـاطٌ وفتـور، وتـذكر أنّ في النـاس نزعـةَ التفلت والتقصير وليسوا ملائكةً، واستحضر ..(وتركوك قائما) وتعزَّ بها ومثيلاتها من النصوص والعبر في التاريخ الدعوي ، والله المستعان ..!



٢٩/ معكرات في الطريق:

______**______

- لا يخلـو العمـلُ الـدعوي مـن معكـراتٍ في الطريـق ، ومكدرات تحاول إجهاضَ الجهد ، أو النَّيل ، أو إضعاف الهمة والاستنقاص. ولم يكن بحمد اللهِ ، يُلقي لها بابًا، أو يرفع لها رأسًا ، إلا ما كان من نقدٍ قويم، أو نصيحة هادفة..! وليست تشفيًا أو انتقامًا ..!

- ومنها أيضًا : ارتباطاتُ العمل، لا سيما الإدارية ، فقد كان يتهيأ للدروس والكتب مفتوحة إبان وكالة القبول وشؤون الطلاب لأربع سنوات . وإذا وجدَ سعةً طالعها، وقيَّد نقاطها.



- وكذلك المطالبُ العائلية ، همٌّ وثِقل ، ولهم حقوق، ومع استفادتهم أحيانا إلا أنها أضرت بهم الدعوةُ أحيانًا...! ومن الأخطاء هنا: نسيانُ الداعية وغفلته عن أهله وبنيه ..! وبعضهم يستشعر ذلك ويحاول التسديد والتقريب، والله المستعان .

- وكما لك مُحبُّون ، لك خصوم قد احتشت قلوبهم غيظا وكمدا ، وحاولوا قطع الدروس أو تكديرها ببعض المشكلات ، وهذا إذا جاء من الأقران قبلتها ، فالتنافس بينهم تنورٌ ساخن أحيانًا، وأما من دونهم عمرا وسنًا وعلمًا، فتعجب من اتخاذك غرضًا في مسالكهم ، لولا ثبوتُ اسوداد القلوب حسا، وانخلاعِ الأفئدة من نشاط الآخرين واقعًا ..



وفي القرآنِ لو اتعظوا..(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) سورة الحشر: ١٠ .

- ويستحسنُ هنا قول القائل :

عِداتي لهم فضلٌ علي ومنةٌ ** فلا أبعدَ الرحمن عنّي الأعاديا

همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ** وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

_______**_______

- فأحيانًا من فوائد الاضداد شحذ الهمة ،وتحقيق منجزات

وقال المتنبي :

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونه ** وصدّق ما يعتاده من توهمِ



وعـــادى محبّيـــه بقـــول عداتـــه ** وأصبحَ في ليلٍ من الشك مُظلمِ

أصادقُ نفس المرء من قبل جسمِه ** وأعرفهـــا في فعلـــه والـــتكلمِ

- وفي بعـض الأقـران الـذين يعانـدون حسـدًا ، ويضيـقون إفلاسًا وحقدًا ، قال بعضُهم :

ويــرومُ يكســرني اللئــيمُ وكســرُه ** راقٍ لنــا في حالــكِ الظلمــاتِ

يشــتدُّ قصــدُ الطــالبين ونرتقــي ** مــن همــةٍ عليــا إلــى عزَمــاتِ

انظــر لــه خــالي الوفــاق وقلبُــه ** في مهمــهٍ مــن شــدةِ الضــيقات

________**________

وأظلُّ أصعدُ بالجفاءِ ومقصدي ** متـدفقٌ كالخيـلِ في الغَمـراتِ

فـالروحُ تحيـا بالعـداء ونبضُـها ** عملٌ مضى والسيرُ في الفلواتِ

أفعالُهـا ابتسـمت ومـا مـن غرسـةٍ ** إلا ابتنــت صــرحًا بــلا آفــاتِ

________**________



وتصاعدَ العملُ الدؤوبُ وأثمرت ** سـخَطاتُهم كنـزا مـن الثـرواتِ

فالكُتْــبُ ســال نميرُهــا ويراعنــا ** متبســمٌ كالغيــثِ والنســماتِ

________**________

- طهر الله قلوبنا ، وكفانا كل ذي شر، إنه جواد كريم.



٣٠/ المدارسُ والعلم:

جوامعُ في الساحات لا علمَ عندها ** سوى منهجٍ جارٍ وكتْب ومحضَرِ

فهلا استبانت منهجًا وبرامجًا ** روافدَ للطـلاب في خيـرِ مظهـرِ

______**______

- المدارسُ وجلُّ القطاعات التعليمية، بوابةٌ حيويـةٌ لإشـاعة معنى القراءة وحب العلم والاطلاع ، (وقل رب زدني علما) سـورة طـه. ولكنهـا تكـون في أسـلوبٍ تشـويقي ، لكثـرة التكـاليف المضـروبة علـى كواهـل الطـلاب .. فلـديكم محاضراتُ المكتبة والرياضة والفنية والأنشطة المختلفة ، وحصص الانتظار كـذلك. وكـم من معلـم واعٍ صنع منها معجزة ، واحتوى أذكياء حوّلهم إلى علماء وعباقرة .وهي



لا تخرج علماء كما قال الطنطاوي رحمه الله ، لكنها مفاتيح ومنافذ. وكما قال شوقي رحمه الله:

أرأيتَ أشرفَ أو أجلّ من الذي ** يبني ويُنشئ أنفسًا وعقولا

سُبحانَكَ اللَهُمَّ خيرمُعَلِّمٍ ** علمتَ بِالقَلَمِ القُرونَ الأولى

أَخرَجتَ هَذا العَقلَ مِن ظُلُماتِهِ ** وهديتَه النورَ المُبينَ سَبيلا

- ونفسُ القول يتكررُ في الجامعات لا سيما الكليات الشرعية، وهي معنية ابتداءً بالعلم الشرعي وتكوينه وتسهيل طرقه وهو ما كان يقوم به أساتذتنا في كلية الشريعة بأبها قديمًا ، مشكورين .. ولكنه تراجع في فتراتٍ بسبب فتور الهممِ ، وغلبة الشأن الإداري ، وتضجر الطلاب.. ولكننا



باستعمال الحكمة التربوية قد نصل لاختراق أفئدتهم والتأثير فيهم.

- ولو صح لنا حكايةُ تجربة فرع كلية الشريعة في محايل سنة ١٤٣٧ هـ . لقيلَ : وخلال أربع سنوات حرصنا على القضية العلمية ، ووضعت برامجُ مساندة لهم يتخللها شيء من الترويح ، فأُسِّس (برنامج ثبات العلمي) بمتونٍ محددة خلال أربع سنوات ، وحاول الأساتذة غرس المُثل العلمية، وتحفيظهم عددًا من المتون والمنظومات، وتحريك هممهم للتأصيل العلمي.

- وربما النتائجُ لم تكن على هوانا، ولكنها أثمرت نوعًا من الفوائد، نحو : صناعةِ بعض الطلاب المتميزين ، وحفز



الهاجس العلمي لديهم لاسيما المتفوقون، وكذلك ضبط منظومات محددة، فقد حفظ مثلا منظومة مراقي السعود، أطرافا منها ، نحو ٣٠ طالبا ، وربط طلاب الشريعة بالعلم وفضله ، وكذلك تحفيظهم الأربعين النووية، وقطعا من عمدة الأحكام ، والمنظومة البيقونية، وكانت مدارات التأثير جارية في نحو (٤٠) طالبًا ، وكان يتم إغراؤهم من خلال الجوائز والدرجات . وليعلم أن ذلك التأثير كان محدودًا بسبب تقليص الجامعة القبول في فرع تهامة، وتعليق القبول بعد مضي سنتين فيه، رغم الحاجة الماسة وكثرة الإلحاح ، ولكنه لم يفت في العضد حرصا ومواصلةً مع التلاميذ ، ولله الحمد والمنة.



- وكـــان لأســـاتذة القســـم دور في إلقـــاء المحاضـــرات والـدورات المناسـبة ، والتـي تسـعى في إيقـاد نـار الهمـة في نفوسهم ، حتى يكونوا أمناء أعزةً في خدمة ديـنهم ووطـنهم ، ويشاهدوا مشـاعل مـن نـور تهـدي كثيـرا ، وتعلـم فئـات مـن الناس، من خلال وظائفهم وإمامتهم ونفعهم المتعدد.
- ولمـن كـان يتضـايقُ منهـا مـن الأسـاتذة ، ويكتفـي بـالمنهج، وبعـض الطـلاب كـذلك .. نقـول : أقـل مـا يمكـن فعلـه هـو اسـتثمارُ طاقـات الطلبـة الأوائـل ، وجعلهـم أوائـلَ في الجـد والـدين والخطابـة والحفـظ ، وسـيلحق بهـم أصـدقاؤهم، وسيكون لهم أبلغ الأثر ، بإذن الله تعالى ، والسلام.

تمت الذكريات الدعوية من كتاب (والشوق أغلب) والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل .